

ذخائر العرب

٢٨

نساء الخلفاء

المسنى

جهات الأئمة الخلفاء من البراءة والإمام

تأليف

تاج الدين أبي طالب علي بن أنجب المعروف بابن الساعي

الخازن البغدادي المتوفى ٦٧٤هـ

حققه وعلق عليه

الدكتور مصطفى جواد



دار المعارف

ذخائر العرب

٢٨

نساء الخلفاء

المستقى

جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء

نساء الخلفاء

المستقى

جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء

تأليف

تاج الدين أبي طالب علي بن أنجب المعروف بابن الساعي

الخازن البغدادي المتوفى ٦٧٤هـ

حققه وعلق عليه

الدكتور مصطفى جواد

الطبعة الثانية



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع. \

تصدير

ابن الساعي مؤلف الكتاب وعصره

تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب، المعروف بابن الساعي، الموصوف بالخازن، كان بغدادياً، وقد ولد ببغداد سنة ٥٩٣ هـ - ١١٩٦ م، على عهد الخليفة أبي العباس أحمد الناصر لدين الله العباسي، وكان عهداً زاهراً، وطلّدت فيه الدولة العباسية استقلالها، وأمنت فيه الرعية من كل خوف، فرتمت في طمأنينة مستدامة، وعدل شامل، وحرية واسعة، وعيش رغيد، وقد ذكره ابن جبير الرحالة في كتابه قال: «وقد يظهر الخليفة في بعض الأحيان بدجلة راكباً في زورق، وقد يصيد في بعض الأوقات في البرية، وظهوره على حالة اختصار، تعمية لأمره على العامة، فلا يزداد أمره مع تلك التعمية إلا شهارة، وهو مع ذلك يحبّ الظهور للعامة ويؤثر التحبب لهم، وهو ميمون النقية عديم قد استسعدوا بأيامه رخاء وعدلاً وطيب عيش، فالكبير والصغير منهم داع له^(١)».

وقال محبّ الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي: «دانت السلاطين للناصر ودخل في طاعته من كان من المخالفين، وذلت له العتاة والطفاة، وانهزت سيفه الجبابرة، واندحض أعداؤه، وكثر أنصاره، سوفتح البلاد العديدة، وملك من الممالك ما لم يملكه أحد ممن تقدّم من الخلفاء والملوك، وخطب له ببلاد الأندلس وبلاد الصين، وكان أمدّ بني العباس، تتصدع لهيبته الجبال، وكان حسن الخلق، لطيف الخلق، كامل الظرف، فصيح اللسان، بليغ البيان، له التوقيعات المسدّدة،

(١) رحلة ابن جبير، طبعة ليدن الثانية ص ٢٢٦.

والكلمات المؤيدة ، وكانت أيامه غرّة في وجه الدهر ودُرّة في تاج الفخر^(١) .
 وقال أبو عبدالله محمد بن سعيد بن الدبّيثي الواسطي : « ولما نزل الرعية في ظله
 وإنعامه يرجعون إلى أوفى أمنٍ ، وأوفر فضلٍ ، وأكمل منٍّ ، وأوسع معيشة ،
 وأرضى حياة وعيشة ، يعمّهم العدل ، ويشملهم الفضل ، وتغمرهم الصدقات ،
 وتغنيهم الصّلات ، وعمرّ المساجد ، وجدّد المشاهد ، وأنشأ الأربطة والمدارس ،
 وأحيا من الخيرات كلّ دارس ، فأنخلق في إنعامه راتعون ، وله بدوام الملك وطول
 الحياة داعون ، والله تعالى يستجيب فيه دعاءهم ، ويحرّس من الغير شريف سُدّته ،
 ويحييه ما أحب الحياة ، إنّه جواد كريم ومناقبه الشريفة ، وفضائله الكريمة أوفر
 من أن يحيط بها وصّفُ الواصفين ، ويخصّرها تدوين المصنفين ، فنحن وإن رُمنا
 ذكر بعضها فبِعجزنا مُقرّون ، وعن بلوغ الغاية فيها مُقصرّون^(٢) » .

وقال الموفق عبد اللطيف بن يوسف البغدادي : « كان الناصر شاباً مرحاً عنده
 مية الشباب ، يشق الدروب والأسواق أكثر الليل ، والناس يتهيبون لقاءه^(٣) .
 وكان قد ملأ القلوب هبة وخيفة ، فكان يرهبه أهل الهند ومصر كما يرهبه أهل
 بغداد ، فأحيا هبة الخلافة ، وكانت قد ماتت بموت المعتصم ، ثم ماتت بموته ،
 وكان الملوك والأكابر بمصر والشام إذا جرى ذكره في خلواتهم خَفَضُوا أصواتهم
 هبةً [له] وإجلالاً^(٤) » .

وقال أبو الخطاب عمر بن دحية الكلبي : « وأخذَ [الناصر] ، الأمر حقاً وقوّة ،
 وفتح البلاد طاعة وعنوة ، وطبقتْ دعوتهُ جميعَ الآفاق ، وطلعت شمسُه باهرة
 الإشراف ، وأوقع بوزراء السوء على الإطلاق ، وقامَ بما عليه من العهد والميثاق .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص ٤٦١ ، ٤٦٢ من طبعة الهند .

(٢) المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبّيثي « ١ : ص ٣٦ من المستدرك » .

(٣) نكت الهميان « ص ٩٣ » .

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي « ص ٤٦١ » طبعة بلاد الهند .

وقد دخلتُ بغداد مراراً ، واستأذنتُ سُدَّةَ الخلافة الناصرية — جعل الله الأقدار لها أنصاراً — في الرواية بها وبواسطة القصب ، فأذن لي سرّاً وجهرّاً ، فامتثلتُ الإذن ، وقطعت من كبار المصنفات أسفاراً ، واستضأت من علوم الشُّنَّة بما يُعَدُّ مع الصبح إشراقاً وإسفاراً ، فحقُّهُ أولُ واجب يُؤدَّى ، وأوجبُ حقُّ يُبدَى ، فهو الخليفة الإمام الأهدى ، صنو الغمام الأسكب الأندى ، ومليك الأُمَّة الذي جاوز ملكه المدى ، واحتاز الملوك عِبْدِي ، وتبدَّى علمه نوراً على علم الهدى ، فعلم وهدى ، وغمر بالجُدى ، وحكم المناصل في هام العِدَى ، وحكم للباس تارة وطوراً للندى :

ترتاح أندية الندى والباس من ذكر مولانا أبي العباس
نجل الخلائف وابن عم محمد خير البرية من جميع الناس^(١) .

وقال أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي السائح : «فوقع ابتداء ذكر الزيارات من مدينة حلب ، وكان الواجب أن نبتدى بذكر مدينة السلام — حرَّتها الله تعالى — إذ بها إمام المسلمين وخليفة الموحِّدين ، وأمير المؤمنين وابن عمِّ سيد المرسلين الإمام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين (كذا) ابن الإمام المستضيء بأمر الله ، الذي رفع المظالم ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وأقام حدود الله ، وأحيا سنة رسوله ، وعمر الشريعة ، وأظهر الصنعة ، وفقه الله لطاعته ، وبلغه نهاية آماله من دنياه وآخرته ، بمحمد وآله وعترته^(٢) » .

وقال ابن واصل الحموي : « كان الناصر لدين الله شهماً أبي النفس حازماً متيقظاً ، ذا فكرة صائبة وعقل رزين ودهاء ومكر ، وكانت هيئته عظيمة جداً ، وكان له أصحاب أخبار في العراق وسائر الأطراف يطالعونه بجزئيات الأمور وكلياتها ، وكان

(١) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس « ١٦٥ ، ١٦٦ » طبعة الأستاذ العزاوي .

(٢) الإشارات إلى الزيارات ص ١ ، ٢ « طبعة جانين سورديل بدمشق سنة ١٩٥٣ » .

لا يخفى عليه من الأمور إلا ما قلّ ، وكان ذا سطوة شديدة ، فكان أهل العراق يخاف أحدهم [التحدث] مع زوجته في منزله ، ربّما يظن أن الخليفة إذا بلغه ذلك عاقب عليه ^(١) .

وقال الذهبي . « لم يَلِ الخلافة أحد أطول مدّة منه فإنه أقام فيها سبعا وأربعين سنة ، ولم يزل مدة حياته في عزّ وجلالة ، وقمع للأعداء واستظهار على الملوك ، ولم يجد ضيما ، ولا خرج عليه خارجي إلا قمه . ولا يخالف إلا دفعه ، وكلّ من أضمر له سوءا رماه الله بالخذلان ، وكان مع سعادة جدّه شديد الاهتمام بمصالح الملك ، لا يخفى عليه شيء من أحوال رعيّته كبارهم وصغارهم ، وأصحاب أخباره في أقطار البلاد يؤصلون إليه أحوال الملوك الظاهرة والباطنة ، وكانت له حيلٌ لطيفة ، ومكايد غامضة ، وخدع لا يَفْطَنُ لها أحد ، يُوقع الصداقة بين ملوك مُتَعَادِينَ وهم لا يشعرون ، ويوقع العداوة بين ملوك مُتَّفِقِينَ وهم لا يَفْطَنُونَ ^(٢) » .

وفي الحق أن عهد الناصر لدين الله كان عصر ازدهار للسياسة العربية والثقافة العقلية ، على اختلاف أنواعها ، والثقافة الجسميّة على تعدّد ضروبها ، فالازدهار السياسي قد نقلنا عليه شواهد من أقوال ثقات المؤرخين ، ولم نستطع أن نتبسط في الكلام عليه لضيق المكان ، وأمّا الازدهار الثقافي العقلي فقد بدا في مظاهره الأصلية ، وهي المدارس والرُّبُطُ « الخانقاهات » فإنها معاهد روحية وعقلية معاً ، ودورُ الكتب وخزائنها ، والتأليف باختلاف موضوعاتها ، وإقبال دولة الشعر بعد إدارها ، ونبوغ الشعراء والكتاب والأدباء والمؤرخين والمحدثين والفقهاء والبلدانيين وأرباب الفنون

(١) اشفاء القلوب بأخبار بني أيوب « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ، ١٧٠٢ الورقة ٢٣١ » وقد سميت هذه النسخة « تاريخ الواصلين في أخبار الخلفاء والملوك والسلطين » . والظاهر أن الواصلين تصحيف « الواصل » .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي « ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ » طبعة بلاد الهند . ونقل هذا الكلام الصلاح الصفدي في نكت الحميان « ص ٩٤ » ولم يشر إلى قائله .

والعلماء والفلاسفة والمدرسين والمهندسين والأطباء ، وكان الناصر قد جعل للشعراء ديواناً خاصاً في الدولة يسمى « ديوان الشعراء » وُسِّمَتِ الشعراء المثبتة أسمائهم فيه « شعراء الديوان » أي ديوان الدولة العباسية .

فالشعراء الذين نبغوا ، والذين اشتهروا على عهد الناصر لدين الله هم سبط ابن التعاويذي صاحب الديوان المطبوع ، الحافل بالشعر ، البالغ قمة الكمال من حيث الصناعة الشعرية ، والأبله^(١) البغدادي صاحب الديوان المشتمل على فنون المدح والغزل ، وابن المعلم الواسطي المهرثي الشاعر الرقيق ، الذي شرقت قصائده وغربت وغارت وأنجذت ، وابن الدينير المنذري الموصلية صاحب الديوان الرائع الرائق^(٢) ، وعبد المنعم المصري النظروني المهاجر إلى العراق الداخل — كان — في خدمة الخليفة الناصر لدين الله سفيراً بينه وبين الملوك التابعين له ، وعبد الواحد بن عبد الرحمن ابن منصور المصري الطائي المنتقل من مصر إلى العراق انتقال استيطان ، وأبو الأمانة جيريل بن صارم المصري الصَّعْبِيّ ، القادم من مصر إلى العراق للسكنى فيها ، والباز الأشهب علوي بن عبيد الله الحليّ ، والأمير ابن مقرَّب الميوني^(٣) ، ورشيد الدين عبد الرحيم النابلسي ، وبهاء الدين علي بن محمد بن رستم بن الساعاتي ، وراجح بن إسماعيل الحليّ ، وعلي بن بطريق الحليّ ، وأحمد بن جعفر الواسطي معارض قصيدة ابن زريق أو رزيق البغدادي ، والملك الأجد بهرام شاه الأيوبي ، المحفوظ ديوانه الغزلي في دار الكتب الوطنية بباريس ودار كتب الأوقاف ببغداد . وكال الدين علي ابن النبيه الشاعر الرقيق ، القائل في مدح الخليفة الناصر أحمد بن الحسن :

بغدادُ مَكَّتَنَا وأحمدُ أحمدُ حُجُّوا إلى تلك المنازل واسجدوا

(١) رأيت نسخة من ديوانه في دار كتب طهران الوطنية بإيران . وقد صوره الدكتور حسين علي محفوظ للأستاذ عبد الكريم الدجيل .

(٢) منه نسخة في خزانة الأستاذ الأديب أحمد عبيد دمشق .

(٣) طبع ديوانه مشروحاً في يومى سنة ١٣١١ في « ٥٧٦ » صفحة متوسطة .

يَا مُذْنِبِينَ بِهَا ضَعُّوا أَوْزَارَكُمْ وَتَطَهَّرُوا بِتُرَابِهَا وَتَهَجَّدُوا
بَاب النجاة مدينة العلم التي ما زال كوكبُ هديها يتوقَّدُ

وابن سناء الملك صاحب الموشحات السائرة ، وأبو علي محمد بن صدقة الخفاف ،
ومحمد بن عبد الملك الوظائفى ، والفق الشاطر عمر بن السُّفْت البغدادى الرامى الكبير
المتغزل بالطير الجليل وبقوس البندق ، وصاحب الخمسة التي جمعت أصول الرمى
عند الفتيان ، وأنواع الطير الجليل المقرّر صيدهُ عندهم ، وأبو الشكر محمود بن سليمان
ابن سعيد الموصلى المشهور بابن المحتسب ، وأبو العباس أحمد بن المؤمل البغدادى ،
ومؤيد الدين أبو البركات محمد بن أحمد بن زيد التكريتى صاحب الأبيات السائرة
التي مطلعها :

ألا مبلغ عنى الوجيه رسالة وإن كان لا تُجدى لديه الرسائلُ

ويحيى بن أبي زيد العلوى البصرى ، وأبو الحسن على بن إسماعيل العبدى
البصرى ، وأبو عبد الله محمد بن المهنا بن محمد البنائى ، ويعقوب بن صابر المنجنيق
الحرانى الأصل البغدادى الذى يقول فيه ابن خلكان : « وكانت أخباره فى حياته
متواصلة إلينا ، وأشعاره تنقلها الرواة عنه ، ويحكون وقائعه وماجرىاته وما ينظم فى
ذلك من الأشعار الرائقة والمعانى البديعة ^(١) » . وغير هؤلاء ممن يطول تعدادهم .

أما العلماء بمعنى العلم الصحيح فقد ظهرت كثرتهم فى عصر الناصر لدين الله ، منهم
العلامة عبد اللطيف بن يوسف البغدادى مؤلف كتاب « الإفادة والاعتبار فى الأمور
المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » وأبو الرشيد مبشر بن أحمد بن على
الرازى الأصل البغدادى ، كان أوحد زمانه فى الحساب وخواص الأعداد والجبر
والمقابلة والهندسة والهيئة وقسمة التركات ، وحوى من سائر العلوم طرفاً ، وكان ذا معرفة

(١) وفيات الأعيان « ٢ : ٥٠٥ » من طبعة بلاد العجم .

تامة بعلم الكلام والمنطق والهندسة، وله اطلاع على العلوم القديمة وأقوال العلماء فيها ومذاهبهم ، وله اليد الطولى فى غمارات الدور وقسمتها ، وهو الذى كلفه الخليفة الناصر لدين الله أن يختار الكتب لوقفها فى رباط زوجته « سلجوقى خاتون »^(١) .

وسديد الدين جعفر بن القطاع البغدادى ، وأبو الرضا محمد بن أحمد بن داود الحاسب المؤدب الملقب بالمفيد لكثرة إفادته بالحساب وأنواعه والأدب ، وله تصنيف وتعليق فى علم الحساب ، وأبو شجاع محمد بن على بن شعيب المعروف بابن الدهان الحاسب البغدادى، كان عالماً بالرياضيات ومنها الهندسة والأدب . وله كتاب « تقويم المسائل الخلافية » منه نسخة بدار الكتب الوطنية بباريس، ونسخة أخرى فى خزانة الشاعر الكبير محمد رضا الشيبى ، وقد ساح فى البلاد الإسلامية ونشر علمه فيها، ثم استقر بدمشق إلى أن مات صلاح الدين الأيوبي . فتركها إلى العراق ، وأبو العباس أحمد بن أحمد بن على الواسطى الحاسب المصنف فى الحساب^(٢) ، وأبو الفضائل جعفر بن محمد بن عبد السميع الهاشمى الواسطى ، من علماء الرياضيات أيضاً ، وعضد الدين المبارك بن محمد بن رئيس الرؤساء المهندس المتقن لأكثر الفنون . وكانت له اليد الطولى فى الهندسة والرياضيات، وعلاء الدين محمد بن عبد الله الجوبغانى المنجم ، كان عارفاً عالماً بعلم النجوم والأحكام والعلوم الرياضية كالهندسة والحساب زيادة على علمه بالموسيقى ، وأبو الفضل الحازمى ، وشرف الدولة العسقلانى .

واشتهر فى عصر الناصر من المؤرخين عز الدين على بن الأثير ، وجمال الدين محمد ابن سعيد بن الدببى الواسطى ، ومحمد بن أحمد القطيعى ، ويحيى بن القاسم التكريتى وقبصر بن كمشكين، وعمر بن دحية الكلبي ، ومحمد بن أحمد القادسى ، وقثم بن طلحة العباسى الزينبى ، ومحب الدين محمد بن محمود بن النجار، وأبو شجاع محمد بن على بن الدهان المقدم ذكره مع علماء الرياضيات ، وعبد اللطيف بن يوسف البغدادى

(١) تاريخ الحكماء « ص ١٧٧ من الطبعة المصرية » .

(٢) له كتاب « عمدة الرائف وعدة الفارض » .

المذكور آنفاً ، وهبة الله بن شنيف ، وحجاج بن هبة الله الحراني ، وأسد بن ممتاني
المصري ، وبهاء الدين يوسف بن شداد الموصلی ، وأبو الفرج عبد الرحمن بن علي
ابن الجوزي ، وعبيد الله بن نصر بن المارستاني ، وياقوت الحموي ، والحسن بن محمد
ابن حمدون البغدادي ، وعبد الله بن حنظلة البغدادي ، وغيرهم .
ويطول الكلام ويكثر القول إن ذكرنا الحكماء والأطباء والفقهاء ، والقضاة
والمدرسين ، وأهل الفن ، ومن جرى مجراهم من أرباب الثقافة العقلية والثقافة
الروحية .

سيرة المؤلف

في هذا العصفوفى زمان هؤلاء ولد تاج الدين على بن أنجب بن الساعى ، وكان
مولده فى شعبان من « سنة ٥٩٣ هـ » ولم نجد لوالده « أنجب » ذكراً فى التاريخ ، وذلك
يدل على أنه كان من العامة لا من الخاصة ، ويمكن أن يكون هو « الساعى »
المذكور فى نسب « تاج الدين على » . والساعى : عداء يعدو فى مصالح غيره من
التجار والأعيان ، بين القرى والبلدان . وكانت مجالس الحديث كثيرة فى زمان ابن
الساعى ، والرواية فى وفارة ، فلما ميّز الأمور أخذ يسمع الحديث والأخبار والآثار ،
فسمع من أبى الحسن على بن محمد بن على الموصلی المعروف بابن اللباد الخياط ، وهو
عم الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي الذى قدمنا ذكره مرتين ،
وكان قد سكن بغداد واشتهر بها بالرواية والدراية ، وتوفى بها سنة « ٦١٤ هـ »^(١)
ولم نقف على السنة التى سمع منه فيها الحديث ، وقد سمع جامع البخارى على الحسن

(١) التكملة لوفيات النقلة لعبد العظيم المنذرى المصرى « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية
١٩٨٢ ج ١ الورقة ١٠٩ » وتاريخ الإسلام للذهبي « نسخة دار الكتب الأهلية بباريس ١٥٨٢
و ٢١٢ » وتاريخ بغداد لابن الديبى « نسخة كبرىج ، و ١٥٩ والنجوم الزاهرة « ٦ : ٢٢١ »
والشذرات ٥ : ٦٠ .

والحسين ابني المبارك بن الزبيدي ، فأما الحسن بن الزبيدي فكنيته أبو علي ، وكانت ولادته في سنة « ٥٤٣ هـ » ببغداد ، ودرس النحو والأدب وكتب كثيراً من كتب التفسير والحديث والتواريخ والأدب ، وكان عالماً فاضلاً متديناً حسن الطريقة حنفي المذهب ، وطال عمره حتى حدث كثيراً ، ورُتّب محدثاً في مسجد قُمرية على شاطئ دجلة بالجانب الغربي من بغداد ، رتبه في ذلك منشي المسجد الخليفة المستنصر بالله العباسي سنة « ٦٢٦ هـ » . وتوفي سنة « ٦٢٩ هـ » ودفن بمقبرة جامع المنصور بالجانب الغربي من بغداد^(١) . وأما أخوه الحسن بن الزبيدي فكنيته أبو عبد الله وكان مولده سنة « ٥٤٥ هـ » وكان فقيهاً حافظاً ثقة ، توفي سنة « ٦٣١ هـ »^(٢) .

وقرأ ابن الساعي الحديث أيضاً على جماعة يطول إثباتهم ، منهم المشهورون والمغمورون ، فمن المشهورين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الديثي المقدم ذكره بين المؤرخين^(٣) ، ومن المغمورين أبو القاسم سعيد بن معالي النخاس^(٤) وأجاز له أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي^(٥) الأديب النحوي الفقيه المحدث البغدادي نزيل دمشق ، وقرأ القرآن الكريم بالقراءات المروية ، على أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري^(٥) النحوي الأديب المشهور صاحب « التبيان في إعراب القرآن » والمنسوب إليه « شرح ديوان أبي الطيب المتنبي » المطبوع غير مرة مع أنه تأليف

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، لمحيي الدين القرشي المصري « ١ : ٢٠٠ » وتاريخ بغداد لابن الديثي نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣٣ الورقة ١٧٤ « والحوادث التي سميها الحوادث الجامعة » ص ٤ « وبغية الوعاة ٢٢٦ » . وللتكلمة لفويات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية » ١٩٨٢ د ، ج ٢ ص ١٠٣ . والشذرات « ٥ : ١٣٠ » ، وتلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي « ج ، الترجمة ١٩٩٥ من الميم . (٢) التكلمة « الورقة ١٤١ » وتاريخ بغداد لابن الديثي « نسخة بريس ٢١٣٣ و ١٩٨ » والجواهر المضية « ١ : ٢١٦ » .

(٣) الجامع المختصر لابن الساعي « الصفحة ن من التصدير » .

(٤) منتخب المختار من ذيل تاريخ ابن النجار « ص ١٣٧ » .

(٥) تصدير الجامع المختصر أيضاً « ص ن » .

« عفيف الدين علي بن عدلان الموصلي » المتوفى سنة ٦٦٦ هـ . وروى أيضاً عن جماعة بالإجازة .

ودرس ابن الساعي الأدب ، ولم نجد اسم الأديب الذي قرأ هو عليه الأدب ، إلا أننا عثرنا على أخبار تفيدنا اتصاله بالرواية عن ياقوت الحموي ، وضياء الدين بن الأثير صاحب المثل السائر والجامع الكبير وغيرهما من التأليف الأدبية البلاغية، ومحمد بن أبي الفضل الأديب ، وأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري النحوي الأديب الذي قرأ هو عليه القرآن ، كما ذكرنا آنفاً ، بالقراءات المسندة .

وأقبل ابن الساعي على التواريخ، فقرأ « التاريخ المجدد لمدينة السلام » على مؤلفه محب الدين محمد بن محمود بن النجار المقدم ذكره آنفاً ، و « ذيل تاريخ بغداد » على مؤلفه جمال الدين محمد بن سعيد بن الدَّيْنِيّ الواسطي ، وقد أسلفنا ذكره ، وطالع التواريخ على اختلاف أنواعها وعصورها ومواضيعها ، وبرع في أكثر الفنون الدينية، كالحديث والفقه والتفسير ، والفنون الأدبية كالتاريخ والأدب والأخبار والأشعار ، وقد نظم الشعر ، وخالط العلماء والفقهاء والأدباء ، وأرباب الدولة العباسية ، وكان لطيفاً ، مقبول الصورة ، دمث الأخلاق ، كريم الطباع ، منور الوجه ، وازداد فضلاً على فضله بأنه كان قد صحب المشايخ والزهاد ولبس « سنة ٦٠٨ هـ » خرقة التصوف من شيخ الشيوخ أبي حفص عمر بن محمد الشَّهْرَوَرْدِيّ الشافعي ، وكان ابن الساعي نفسه شافعيًا ، ولذلك مال إلى التصوف ، لأنَّ التصوف والتشفُّع أخوان ، وذكره تقي الدين ابن قاضي شُهَبَة في عداد الشافعية الأعلام قال :

« علي بن أنجب بن عثمان بن عبيد الله بن عبد الرحيم ^(١) ، المؤرخ الكبير ، تاج الدين أبو طالب البغدادي المعروف بابن الساعي . . . كان فقيهاً قارئاً بالسَّبع ، محدثاً ، مؤرخاً ، شاعراً ، لطيفاً كريماً ، له مصنفات في التفسير والحديث والفقه

(١) في ذكر أجداده اختلاف كما ستري في منقولاتنا .

والتاريخ وغير ذلك منها تاريخ في ستة وعشرين مجلداً^(١) » .

وقد التبس اسمه « ابن الساعى » الذى هو العداء باسم « ابن الساعى » نسبة إلى عمل الساعات البنكامية المائتة وإدارتها ، فنسبوه إلى « بيت ابن الساعى » . ومن أولئك الناسيين له محي الدين عبد القادر بن محمد القرشى المصرى ، فقد ترجمه فى كتابه « الجواهر المضية فى طبقات الحنفية » قال :

« على بن أنجب بن عثمان بن عبيد الله بن الحارث ، عُرف بابن الساعى تقدم خاله أحمد بن على بن تغلب الإمام ، وذكره الحافظ الدمياطى فى مشيخته^(٢) . ولا صلة فى الحقيقة بين تيتيهما سوى ما أحدثه الوهم فى النسخ والتصحيح فيه ، وكيف يكون أحمد بن على بن تغلب خال ابن الساعى من حيث الزمان ، ومؤلف الجواهر المضية يذكر فى ترجمة هذا الخال المزعوم أنه أتم تأليف بعض كتبه سنة « ٦٩٠ » هـ ؟ « ١ : ٨١ » مع أن على بن أنجب توفى سنة « ٦٧٤ » هـ كما جاء فى جميع التواريخ التى ترجمته^(٣) ، ما عدا منتخب المختار فإنه لم يذكر وفاته ، والغريب فى هذا الأمر أن محي الدين القرشى مؤلف الجواهر المضية كان مصرّاً على أنه ابن أخت مظفر الدين أحمد بن على بن تغلب البعلبكي الأصل المذكور ، فإنه قد قال فى ترجمة أحمد : « ويأتى ابن أخته على بن أنجب^(٤) » وهذا وهم منه .

ومن ذكره باسم « ابن الساعى » عبد الله بن محمد التجانى المغربى ، قال فى بعض أخباره :

(١) طبقات الشافعية لابن قاضى شعبة « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٠٢ الورقة ٦٨ »
 (٢) الجواهر المضية « ١ : ٣٥٤ » .
 (٣) الخواص التى سميها « الخواص الجامعة ص ٣٨٦ » وطبقات الشافعية لابن قاضى شعبة ، الورقة ٦٨ . وتذكر الحفاظ للذهبي « ٤ : ٢٥٠ » . والوفى بالوفيات للصالح الصفدى « نسخة المجمع العلمى العربى المصورة » ٨٨ : ١٢ » والمنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٧١ الورقة ١١٨ » والشذرات « ٥ : ٣٤٣ » .
 (٤) الجواهر المضية « ١ : ٨١ » .

« قال ابن الساعاتي في تاريخه : كانت فاطمة بنت الحسين بن علي — رضى —
وهي أخت سكينه — عند الحسن بن الحسن بن علي وكان محباً لها . . . »^(١) .

ولعل الخلط بين نسبه ونسب ابن الساعاتي بعث جمال الدين بن تبرى بردى أن
يظنه حنفياً مع أن الأدلة متضادة على أنه كان شافعيًا ، وبيان ذلك أن ابن تبرى
بردى بعد أن ترجمه في كتابه باسم « علي بن الأنجب بن عثمان بن عبد الله الشيخ
تاج الدين أبو الحسن وأبو طالب الشيخ الإمام المؤرخ خازن المستنصرية ببغداد عرف
بابن الساعى^(٢) . . . » أعاد ترجمته باسم « علي بن الحسين بن عثمان بن عبيد الله
ابن عبد الله بن عبد الرحيم الفقيه العلامة تاج الدين أبو طالب البغدادي المعروف
بابن الخازن مؤرخ العراق . . . » قال : « أظنه حنفى المذهب^(٣) » . وقد ظنه رجلاً
آخر كما هو ظاهر من عبارته في الترجمتين ، لوجود « الحسين » في نسبه مكان « أنجب » .
وقد عرف ابن الساعى بصفة « الخازن^(٤) » وهو اصطلاح لمن يخزن الكتب
ويحفظها ، على أن أباسعد بن السمعاني قال في الأنساب : « الخازن . . . هذه
النسبة لجماعة ، منهم من كان خازن الكتب ، ومنهم من كان خازن الأموال » ثم
قال « وأبو منصور محمد بن علي بن إسحاق بن يوسف الكاتب الخازن خازن دار
العلم ببغداد . . . » . وقريب من ذلك في الباب وهو مختصر الأنساب . وذكر ابن
رافع السلاوى أنه كان خازن الكتب بالمدرسة النظامية^(٥) ، وذكره مؤرخون آخرون
أنه كان خازن كتب المدرسة المستنصرية ، كما نقلنا آنفاً . ولا شك أن خزنة

(١) تحفة العروس ومثقة النفوس « نسخة أوقاف بغداد ، الورقة ١٠١ » .

(٢) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٧١ الورقة ١١٨ » .

(٣) المرجع المذكور « الورقة ١٢١ » .

(٤) منتخب المختار « ص ١٣٧ » والمنهل الصافى فى المرجع المشار إليه . والوافى بالوفيات وتذكرة
الحفاظ ، فى الموضوعين المقدم ذكرهما آنفاً . والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ لشمس الدين السخاوى
« ص ٩٦ ، ١٢٣ ، ١٥٦ » وقد زل قلمه سهواً فسماء « ابن الخازن فى ص ١٤٦ » .

(٥) منتخب المختار « ١٣٧ ، ١٣٨ » .

للكتب في هاتين المدرستين أعانه على الاطلاع على كثير من كتب الأدب والتاريخ . وقد زاد عدد الكتب في خزانة هذه المدرسة منذ سنة « ٥٨٩ هـ » ، ففيها بنى الخليفة الناصر لدين الله دار كتب جديدة بالنظامية ونقل إليها عشرة آلاف مجلد فيها الخطوط المنسوبة وغيرها^(١) ، كما أنه استفاد من خزائن الكتب الأخرى . قال القفطي في ترجمة برهان الدين أبي الرشيد مبشر بن أحمد الحاسب المقدم ذكره : « وتميز في أيام الناصر لدين الله أبي المباس أحمد وقرب منه واعتمده في اختيار الكتب التي وقفها بالرباط الخاتوني السلجوقي وبالمدرسة النظامية وبتدار المسناة ، فإنه أدخله إلى خزائن الكتب بالدار الخليفية وأفرده لاختيارها^(٢) » . أراد بالرباط الخاتوني الرباط الذي بناه الناصر لدين الله لذكرى زوجته سلجوق خاتون بنت قليج أرسلان السلجوقي سلطان بلاد الروم يومئذ ، بالجانب الغربي من بغداد على شاطئ دجلة ، وسيأتي ذكره في ترجمتها من هذا الكتاب ، وقد وقف ابن الساعي كتبه على المدرسة النظامية^(٣) قبل موته بقليل كما هو عادة العلماء الواقفين كتبهم على المدارس . وفعل ذلك قبله محب الدين محمد بن النجار المؤرخ^(٤) .

وكان عصر الناصر لدين الله عصر تعظيم لأهل العلم والأدب والفن ، وكان الأمراء ممن يختلفون إلى دور الكتب والمعاهد العلمية وفيمن يختلف إليها ، قال عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد بعد إirاده قصيدة ابن الزبيري اللامية : « وعلى ذكر هذا الشعر فإني حضرت وأنا غلام بالنظامية ببغداد في بيت عبد القادر بن داود الواسطي المعروف بالحبيب خازن دار الكتب بها وعنده في البيت باتكين الرومي الذي ولي إزبل أخيراً ، وعنده أيضاً جعفر بن مكي الحاجب فجرى ذكر يوم أحد وشعر

(١) النجوم الزاهرة « ٦ : ١٣٢ » .

(٢) أخبار الحكماء « ص ١٧٧ » .

(٣) طبقات الشافعية لابن قاضي شبة « الورقة ٦٨ » .

(٤) فوات الوفيات « ٢ : ٥٢٣ » طبعة مطبعة السعادة بمصر .

ابن الزبيري هذا وغيره^(١) . وعبد القادر بن داود الواسطي هذا قد ذكره الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات وذكر في سيرته أنه قد تولّى النظر في دار الكتب الناصرية [بالنظامية] ثم توفي سنة « ٦١٩ هـ »^(٢) .

فاشتغال ابن الساعي بالعلم والأدب وحسن أخلاقه وجمال سيرته جعلته محترماً بين الناس ، مكرماً عند أرباب الدولة العباسية ، فقد ذكر شمس الدين الذهبي أن شرف الدين إقبالاً الشرايبي مقدّم الجيوش العباسية كان يحترم ابن الساعي ويبعث إليه بالدنانير، ونقل الصفدي قول الذهبي هذا^(٣) . ثم إن مخالطته لأرباب الدولة مهّدت له سبل الاطلاع على مکتوبات الدواوين الرسمية المخزونة في الأسفاط والقماطر التي يصعب على غيره من المؤرخين الوصول إليها ، أستدللنا على ذلك بما صرّح هو به في آثاره ، ففي سنة « ٦٠٤ » أسند التدريس في مشهد الإمام أبي حنيفة النعمان إلى الشيخ أحمد بن مسعود التركستاني وفي ذلك يقول ابن الساعي : « وكتب توقيع من المخزن المعمور بإشاء مجد الدين محمد بن جميل كاتب المخزن المعمور يومئذ ومن خطه نقلت وهذه نسخته »^(٤)

وبذلك الجاه أيضاً وكونه معظماً عند الأكابر والأعيان كثير التردد إليهم نقل أخباراً من أرباب الدولة وأعوانها وعنهم لا يعرفها أحد من المؤرخين ، ولم يذكرها غيره ، فصارت مادة تاريخية غزيرة ، ولولا هي لنقص التاريخ نقصاناً مؤسفاً . وثقافته العقلية الواسعة جعلته يفتن في تأليف كتب التاريخ والأدب إلا أن أكثر تأليفه في

(١) شرح نهج البلاغة « ج ٣ ص ٣٨٢ طبعة دار الكتب العربية الكبرى » ، .
 (٢) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٣٩ » . وله ترجمة في تلخيص معجم الألقاب « ج ٥ الترجمة ٦٨٧ من الميم » .
 (٣) المنتقى من معجم الذهبي الكبير لابن قاضي شعبة « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٧٦ الورقة ١٤١ » . والوافي بالوفيات « نسخة المجمع العلمي العربي ٨٨ : ١٢ » .
 (٤) الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير لابن الساعي « ج ٩ ص ٢٢٣ » .

التاريخ ، وقد ساعده على فنّه أنه عاش في عصور دولتين متعاديتين أولاهما الدولة العباسيّة والثانية الدولة المغولية الإيلخانية التي أسسها هولاكو بغربي إيران والعراق وبلاد الروم ، على أنه قضى « ثلاثاً وستين سنة » في ظل الدولة العباسيّة أغنى من سنة « ٥٩٣ » إلى سنة « ٦٥٦ هـ » وسلخ « ثمانى عشرة سنة » في حكم الدولة الإيلخانية المقدم ذكرها ، والظاهر أنه تولى الخزن بدار الكتب في المدرسة المستنصرية على عهد الدولة الإيلخانية بالعراق ، وقد جاء في بعض المراجع التاريخية المجهولة المكان في ترجمة عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني شارح نهج البلاغة أنه لما أخذ هولاكو بغداد وقرض الدولة العباسية ، كان عز الدين هذا ممن نجا من القتل في دار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي ببغداد مع أخيه موفق الدين ، فحضر بين يدي الخواجه نصير الدين محمد بن محمد الطوسي الحكيم المشهور فقوض إليه أمر خزائن الكتب ببغداد مع أخيه موفق الدين والشيخ تاج الدين علي بن أنجب بن الساعي^(١) . ولم تطل أيام صاحبيه فقد ماتا في السنة عينها ، وبقي هو في عمله الجديد .

ولم يسلم من مَعَرَّة الحرب وفواجعها ، وإن سلمت روحه من الإزهاق فقد أفقدته ابنه كمال الدين أبا القاسم عبيد الله ، وكان شاباً سرياً ذكياً ، أشغله والده بحفظ القرآن وأسمعه الحديث وكتب خطاً مليحاً ، وتوصل إلى جعله حاجباً من الحجاب ، وقد ذكره والده تاج الدين في تاريخه ، قال : « وفي ذى الحجة سنة خمسين وستمائة رُتّب ولدى أبو القاسم عبيد الله مشرفاً بباب مسرور ، وكان مولده يوم الجمعة سابع شعبان سنة اثنتين وثلاثين وستمائة^(٢) » .

وأكثر كتبه ألفها في أيام الدولة العباسية ، ومنها كتاب « جهات الأئمة الخلفاء

(١) شرح نهج البلاغة « ج ٤ ص ٥٧٥ » نقلا من معجز الآداب في معجم الألقاب (كذا) « لكمال الدين بن الفوطي ، وما يدل على أن الناقل لم يقف على نسخة الأصل أنه جعل اسم المؤلف « أحمد » مع أنه « عبد الرزاق بن أحمد » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي « ج ٥ الترجمة ٤٢٥ من الكاف » طبعة لاهور بالهند .

من الحرائر والإماء» هذا ، ألا تراه يقول في ترجمة « شاهان » جارية المستنصر بالله العباسي :

«ولما توفي مولاها الإمام المستنصر بالله كرم الله مشواه، وجعل الجنة مأواه، وبويع ولده سيدنا ومولانا الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين — أيد الله شريف دولته القاهرة، وبلغه آماله في الدنيا والآخرة — أجراها على عاداتها في الإكرام، ووفر نصيبها من التبجيل والإعظام^(١) . والنظر إلى قائمة مصنفاته يدلنا على افتقانه في التصنيف وإيغاله فيه وسعة معارفه ، قيل إن الذي حُصر من مؤلفاته « مائة وثلاثة وثلاثون مجلداً^(٢) » ، وكان مخطوطاً في التأليف، قلما ألف كتاباً فلم ينل به جائزة ، قال صاحبه محمد بن سعيد : ما كان يكتب مجلداً في التاريخ إلا يحصل له في مقابلة المائة دينار والثلاثمائة . وهذا يطعن في حياده عند أهل التحقيق والتدقيق : وألف كتاب « غزل الظراف ومغازلة الأشراف » في مجلدين فأجازه عليه الخليفة المستنصر بالله العباسي بمائة دينار ، وصنف كتاب نزهة الأبصار في أخبار ابني المستعصم بالله العباسي فأجيز عليه بمائة دينار كذلك ، وألف « التاريخ المعلم الأتابكي » لنور الدين أرسلان شاه ابن زنكي بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي صاحب شهر زور بالتماس منه فأجازه عليه بمائة دينار أيضاً^(٣) ، وألف كتاب « الإيناس بمناقب بني العباس » فأعطاه المستنصر بالله مائة دينار أيضاً ، وقال الذهبي : « أورد ظهير الدين علي بن محمد السكازروني في ترجمة ابن الساعي أسماء التصانيف التي صنفها وهي كثيرة جداً لعلها وقر بعير^(٤) .

وقد بقيت تلك التأليف مراجع مهمة ، كثيرة المادة والنفع للمؤرخين فاستمدوا منها

(١) جهات الأئمة الخلفاء « نسخة خزانة ولي الدين بالآستانة ٢٦٢٤ الورقة ١٣٠ » .

(٢) المنهل الصافي في الموضع المقدم ذكره .

(٣) منتقى المعجم الكبير للذهبي والوافي بالوفيات والمنهل الصافي في المواضع المذكورة آنفاً .

(٤) تلخيص المعجم وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة والوافي بالوفيات .

في كتبهم ، ومنهم كمال الدين بن الفوطى في تلخيص معجم الألقاب، فإنه يكثر فيه من قوله « ذكره شيخنا تاج الدين بن الساعى في تاريخه » . وينقل أحياناً من تواريخ ابن الساعى الخاصة كما سيأتى شرحه، ومنهم شمس الدين الذهبى نقل من غير كتاب من كتبه، وابن كثير الدمشقى في كتابه « البداية والنهاية » وعلى بن الحسن الخزرى في تاريخه « المسجد المسبوك في تاريخ دولة الإسلام والملوك » وقد سماه « ابن الخازن » قال في حوادث سنة ٦٤٢ : « هكذا قال ابن الخازن ^(١) » . والصواب « الخازن » ومنهم « الصفدى » مثال ذلك قوله في افتتاح المدرسة المستنصرية ببغداد سنة ٦٣١ . « وفيها فتحت المدرسة المستنصرية ببغداد ... قال ابن الساعى حمل : إليها من الكتب مائة وستون حملاً سوى ما نقل إليها بعد ذلك وسوى ما أحضره أرباب الدولة والمتولون من كتبهم تقرّباً إلى قلب الخليفة ^(٢) » . ومنهم مؤلف كتاب الحوادث الذى سميناه « الحوادث الجامعة » استرجاحاً ^(٣) ، ومنهم المؤرخ عبد الرحمن الإربلى في كتابه خلاصة الذهب المسبوك ^(٤) « كما سنذكره قريباً ، وعبد الله بن محمد التجانى المغربى في كتابه « تحفة العروس ومنتعة النفوس » وقد أشرنا إلى ذلك قبلاً . وفخر الدين أبو الفضل محمد بن على بن أبى الميامن بن أمسينا الواسطى الكاتب المؤرخ قال ابن الفوطى : كان عارفاً بالحساب والضبط في الكتابة والخط ، والتقط فوائد تاريخ شيخنا تاج الدين أبى طالب [ابن الساعى] وهو عالم بالحوادث والتواريخ ^(٥) » . وقد سمع من ابن الساعى الحافظ الكبير المؤلف الشهير شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى بالمدرسة النظامية ببغداد ، وذكره الدمياطى في معجمه

(١) المسجد المسبوك « نسخة دار الكتب المصرية » الورقة ١٦٥ .

(٢) تاريخ الصفدى المرتب على حوادث السنين « نسخة خزانة الأوقاف بحلب ، أرقامها ١٢١٦

حوادث سنة ٦٣١ » . (٣) الحوادث الجامعة ؟ « ص ٢٥٢ ، ٢٦٢ » .

(٤) خلاصة الذهب المسبوك « ، ص ٩٦ ، ١٦٢ » .

(٥) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ الورقة ٣٣٦ من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق » ويظهر لى

أنه مؤلف كتاب « الحوادث » المقدم ذكره أيضاً .

وأورد له حديثاً بروايته إياه عنه ، وأبو الفضل عبد الرازق بن الفوطى ، وتقى الدين محمود بن على الدقوى^(١) ، ولكنه لم يشتهر فى الحديث ، ولا صرف همته إلى روايته لعنايته بالتواريخ وتوفره عليها ، على أنه ألف كتاب « الإيضاح عن الأحاديث الصحاح » و « الأحاديث الثمانية »^(٢) « أى التى روى كل حديث منها عن ثمانية شيوخ ، والثمانيات معروفة فى فنون الحديث »^(٣) .

وخلاصة القول أن تاج الدين على بن الساعى كان من كبار مؤرخى القرن السابع بالعراق ، وأصدقهم لهجة وأوسعهم تصنيفاً وأطولهم نفساً فى الكتابة ، وأبعدهم ذكراً فى التواريخ . وأنه كان إلى ذلك من الأدباء والمحدثين المشاركين لا من المتخصصين . قال شمس الدين الذهبى فى ترجمته : « وقد تكلم فيه وله أوهام »^(٤) . ولم يفصح الذهبى عن حقيقة ذلك الكلام وتلك الأوهام ، ولا عن السبب الذى قيات فيه ، أكان متساهلاً فى الأخبار أم مجازفاً أم مزخرفاً أم مبالغاً أم كاذباً أحياناً ؟ ليس فى استطاعتنا الجواب لأن الدعوى عليه عامة مُرسلة ، ولكن إقبال المؤرخين والأدباء على كتبه ، وإطباق عامتهم على توثيقه ، وانتشار أقواله فى الكتب تدلنا على إسراف من تكلم فيه ، ولم يُرد الذهبى بذلك القول إلا الإخبار والإعلام ، لتكون ترجمته إياه محيطة بالمهم من سيرته ، ولم يؤكد الرجل اتهامه ولا نفيه عنه بل حايده واعتزل ، أما الأوهام التى ذكرها فممكن وقوعها من ابن الساعى ، وقل من يسلم من المؤرخين والأدباء والمؤلفين عامة من الأوهام . وها هنا لا يجوز أن نقول للذهبى : وما أوهام ابن الساعى ؟ لأن معجمه إنما هو لذكر السير والضرورى من الأخبار لا للتبعية والنقد ، ولا للمؤاخذه والاستدراك والتصحيح .

(١) منتخب المختار « ص ١٣٨ » .

(٢) المنتخب « ص ١٣٨ » وجاء فيه « الثمانية » من غلط النسخ أو الطبع .

(٣) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة فى « الثمانيات » .

(٤) منتقى المعجم الكبير فى الموضع المشار إليه آنفاً .

توفي تاج الدين بن الساعي في ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٧٤ ببغداد^(١) ودُفن بمقبرة الشويبزية بالجانب الغربي من بغداد^(٢) ، وهي مقبرة الصوفيّة وذوى المشرب الصوفي وإن لم يتصوفوا ، وفيها دفن « الجنيد بن محمد » الصوفي الزاهد المشهور ، ولا يزال قبر الجنيد معروفاً مزوراً . وآخر كتاب ألّفه ابن الساعي هو كتاب « الزُّهاد » وقد وُجدَ على هذا الكتاب بخط الشيخ زكي الدين عبد الله بن حبيب الكاتب المشهور هذه الأبيات :

ما زال تاجُ الدين طول المدى من عمره يُعْنِقُ في السَّيرِ
في طلب العلم وتدوينه وفعله نفع بلا ضير
علا على بتصانيفه وهذه خاتمة الخير^(٣)

وهذا ثبت مصنفات ابن الساعي :

١ — الأحاديث الثمانية العالية ، في الثمانية العالية ، قدمنا ذكرها في الكلام على اشتغاله بالحديث وبينّا معناها . ذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون^(٤) .

٢ — أخبار الأدباء وهو كتاب كبير في خمس مجلدات (جمع مجلدة) ذكره مؤلف كشف الظنون ، وادّعى بعض الباحثين أنه كان محفوظاً في بعض خزائن الكتب بحلب ، ولم نقف على شيء من حقيقته .

٣ — أخبار الحسين بن منصور الحلاج ، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون وأعاد ذكره في التواريخ .

(١) المراجع المذكورة ماعدا الجواهر المضيئة « ١ : ٣٥٤ » فقد جاء في المطبوع منها أنه توفي سنة « أربع وستين وستمائة » والظاهر أن « ستين » تصحيف سبعين .

(٢) المرجع المذكور « ١ : ٣٥٤ » .

(٣) الحوادث « ص ٣٨٦ » .

(٤) كشف الظنون « ١ : ١٤ » طبعة نظارة المعارف التركية .

٤ — أخبار الخلفاء ، ذكره مؤلف الكشف قال : « وهو كبير في ثلاث مجلدات » وذكره ثانية في التواريخ ، وأما هذا المطبوع المسمى « مختصر أخبار الخلفاء » فهو مندسوس عليه ، نحله إياه بعض المزورين الذين اعتادوا التزوير في كل أمورهم وشؤونهم .

٥ — أخبار الربط والمدارس ، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون في بابه وفي تاريخ ابن الساعي .

٦ — أخبار قضاة بغداد ، ذكره هو أيضاً في بابه وفي التواريخ .

٧ — أخبار المصنفين ، ذكره^(١) في بابه وقال « ست مجلدات » وأعاد ذكره في التواريخ .

٨ — الأخبار النبوية ، جاء ذكره في منتخب المختار من ذيل تاريخ ابن النجار « ص ١٣٨ » .

٩ — أخبار الوزراء ، ذكره حاجي خليفة في مادة « أخبار » وقال في مادة كتاب الوزراء : « لإسماعيل بن عباد الوزير المعروف بالصاحب ، وذيله الشيخ تاج الدين علي بن أنجب بن الساعي في مجلد » . وذكره شمس الدين السخاوي في الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ « ص ٩٧ » .

١٠ — إرشاد الطالب إلى معرفة المذاهب ، جاء ذكره في منتخب المختار المقدم ذكره « ص ١٣٨ منه » .

١١ — الإشارات الموقفية في علماء الدولة البويهية ، ذكره تلميذه عبد الرحمن الإربلي في تاريخه ، وخلاصة الذهب المسبوك « — ص ١٩١ — قال : « وقد جمع

(١) أعني حاجي خليفة مؤلف كشف الظنون .

الشيخ تاج الدين علي بن الحسن المعروف بابن الساعي شيخنا — رحمه الله عليه —
في ذلك كتاباً سماه الإشارات الموقفية في علماء الدولة البويهية .

١٢ — اعتبار المستبصر في سيرة المستنصر ، جاء ذكره في منتخب المختار
«ص ١٣٨» وذكره الذهبي في تاريخه ومعجمه، وعبدالرحمن الأربلي في كتابه
«خلاصة الذهب المسبوك ص ٢١١» والصفدي في الوافي بالوفيات ، وحاجي خليفة
في كشف الظنون .

١٣ — الاقتفاء في ذيل طبقات الفقهاء ، وهو ذيل على طبقات الشافعية الذي
ألفه قبله. ذكره كمال الدين بن القوطي في تلخيص معجم الألقاب غير مرة ونقل منه .
١٤ — الإيضاح عن الأحاديث الصحاح ، ورد ذكره في منتخب المختار .

١٥ — الإيناس بمناقب الخلفاء من بني العباس ، قدمنا الكلام عليه في سيرته ،
ذكره الذهبي والصفدي في ترجمته من المعجم الكبير للأول والوافي بالوفيات للثاني ،
وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ، وقال عبد الرحمن الأربلي في خلاصة
الذهب المسبوك «ص ٢١٤» في ترجمة الخليفة المستعصم بالله : «وقد ذكر الشيخ
تاج الدين علي بن الحسن البغدادي من ذلك في كتابه الموسوم بكتاب الإيناس في
مناقب الخلفاء من بني العباس» .

١٦ — بشارة من بلغ الثمانين ، ذكره ابن القوطي في تلخيص معجم الألقاب
ونقل منه .

١٧ — بلغة الظرفاء إلى معرفة تواريخ الخلفاء ، ذكره مؤلف كشف الظنون
في مادة «تاريخ الخلفاء» وهو غير المطبوع .

١٨ — تاريخ الخلفاء . ذكره هو أيضاً في الكشف في تواريخ الخلفاء ، ولعله
أحد التواريخ المسميات باسم خاص وذكره من حيث عموم الموضوع .

١٩ — تاريخ الشهود والحكام ببغداد ، ذكره حاجي خليفة في كتابه قال :
« وهو كبير في ثلاث مجلدات » .

٢٠ — تاريخ من أدركت خلافة ولدها . واسمه الأصلي « أخبار من أدركت
خلافة ولدها » ذكره المؤلف — أعني ابن الساعي — في خطبة كتابه هذا « جهات
الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء » قال : « أما بعد حمد الله رب العالمين . والصلاة
والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين ، فإني لما جمعت كتاب أخبار من أدركت
خلافة ولدها من جهات الخلفاء ، ذوات المعروف والعطاء ، أحببت أن أذكر من اشتهر
ذكرها من حظايا الخلفاء ، الحرائر منهن والإماء ، وبالله التوفيق » ، فللمؤلف إذن
كتابان في نساء الخلفاء ، وقد حسبهما الذهبي ، وبعده الصفدي ، كتاباً واحداً ، قال
الأول في معجمه الكبير : « تاريخ نساء الخلفاء من الحرائر والإماء » ولم يذكر الثاني
وتابعه ابن تغري بردي يوسف قال : « وتاريخ نساء الخلفاء من الحرائر والإماء
ومنهن سمر أم أولاد المستعصم الأمراء : أحمد وعبد الرحمن ومبارك » . وأعاد ابن
تغري بردي قول الصفدي فقال : « وتاريخ نساء الخلفاء من الأحرار (كذا) والإماء
ومنهن سمر أم أولاد المستعصم الأمراء : أحمد وعبد الرحمن ومبارك^(١) » . وذكره
كاتب جلبي في مادة « نساء الخلفاء » من كشف الظنون ، والسخاوي في الإعلان
بالتوبيخ « ص ٩٦ » ، وذكره عبد الرحمن الأربلي في خلاصة الذهب المسبوك
« ص ١٩٧ ، ٢٠٣ » .

٢١ — الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، ذكره حاجي خليفة
في تاريخ ابن الساعي وكأنه عناه أيضاً بقوله : « تاريخ ابن الساعي هو علي بن أنجب
البغدادى المتوفى سنة ٦٧٤ وهو تاريخ كبير على ثلاثين مجلداً^(٢) » .

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس » ٢٠٧١ الورقة ١١٨ .

(٢) وجدت المجلد التاسع منه أو الجزء التاسع منه في خزانة الكتب التيمورية بدار الكتب المصرية

وقد طبعته ببغداد وعلقت عليه سنة ١٩٣٤ .

٢٢ — جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، وهو هذا الكتاب وقد قدمنا الإشارة إليه .

٢٣ — الحث على طلب الولد . ذكره الذهبي في معجمه ، والصفدي في الوافي بالوفيات ، قال الذهبي « ألفه باسم مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير ، وقدمه له يوم عُرسه على ابنة صاحب الموصل لؤلؤ »^(١) : وذكره الصفدي في الوافي ، وحاجي خليفة في كشف الظنون باسم « كتاب الحث على طلب الولد » .

٢٤ — حسن الوفاء لمشاهير الخلفاء . ذكره حاجي خليفة في مادة « تاريخ الخلفاء » .

٢٥ — ذيل تاريخ بغداد . ذكره السخاوي في الإعلان بالتوبيخ « ص ١٢٣ » .

٢٦ — ذيل كامل التواريخ الذي لابن الأثير ، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ، والسخاوي في الإعلان بالتوبيخ ، وذكر الأول أنه في خمس مجلدات إلى سنة ٦٥٦ وهي سنة سقوط الدولة العباسية . وقد نقل منه مؤلف كتاب « تاريخ الجزيرة » المحفوظة — كانت — منه نسخة في دار الكتب ببرلين ، أرقامها « ٩٨٠ » عرييات .

٢٧ — الروض الناصر في أخبار الإمام الناصر ، قال عبد الرحمن الأربلي في ترجمة الناصر : « وله مناقب كثيرة وفضائل جمة قد ذكرها الشيخ العالم تاج الدين علي بن أنجب المؤرخ المعروف بابن الساعي شيخنا — رحمه الله عليه — في كتاب يشتمل على خمس مجلدات سماه الروض الناصر في أخبار الإمام الناصر^(٢) » . وذكره ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب مراراً ونقل منه ، ومن ذلك ما ورد في « ج ٥ في الترجمة ٤٥ من الكاف منه » قال . « كافي الدين محمد بن شرفشاه العراقي المستوفي ذكره شيخنا . تاج الدين أبو طالب بن الساعي في كتابه (الروض الناصر في أخبار

(١) متنى المعجم الكبير « نسخة الدار المذكورة ، الورقة ١٤١ » .

(٢) خلاصة الذهب المسبوك « ص ٢٠٨ » .

الإمام الناصر . .) وكرر ذكره في الترجمة « ٣٤٨ من الكاف » وفي غيرها . وأشار إليه السخاوي في الإعلان « ص ٩٦ » باسم سيرة الناصر .

٢٨ — الزهاد . وهو آخر كتاب ألقه ، كما ذكرنا نقلا من كتاب الحوادث في أثناء كلامنا على سيرته .

٢٩ — سيرة المستعصم بالله ، ورد ذكرها في منتخب المختار .

٣٠ — شرح الأخبار النبوية ، جاء ذكره في المنتخب أيضا .

٣١ — شرح الفصيح لثعلب ، ورد ذكره في الكتاب المقدم ذكره .

٣٢ — شرح مقامات الحريري ، مختصر في مجلد ذكره مؤلف المنتخب وذكر له شرحين آخرين .

٣٣ — شرح المقامات ، وسط ، ورد ذكره في التاريخ المشار إليه كما نبهنا عليه .

٣٤ — شرط المدرسة المستنصرية ، مجلد واحد ، قال حاجي خليفة في كشف الظنون : للشيخ تاج الدين^(١) علي بن أنجب البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤ هـ .

٣٥ — طبقات الشافعية ، ذكره ابن الفوطى مراراً في تلخيص معجم الألقاب ، ونقل منه وذكره حاجي خليفة في الكشف وذلك في « الطبقات » وفي « التاريخ » باسم « طبقات الفقهاء » وقد قدمنا ذكر ذيله « الاقتفاء » للمؤلف نفسه .

٣٦ — غرر المحاضرة ودرر المكثرة . في التاريخ ، ذكره كاتب جاي في باب « الغين » و « التاريخ » .

٣٧ — غزل الظراف ومغازلة الأشراف ، وقد أشرنا إليه في الكلام على سيرته

(١) وقع في بعض نسخ كشف الظنون قول المؤلف « وقد سميته بمفاتيح الجنان ومصابيح الجنان » والظاهر أنه شرح لكتاب في الفقه الحنفي اسمه « شرعة الإسلام » لأنه قد كرره في « مفاتيح الجنان » .

ورد ذكره في الجامع المختصر « ٩ : ٦٤ » وسماه حاجي خليفة « غزل الطرف » وقال « في مجلدين لابن الساعي علي بن أنجب ... » وذكره الذهبي في معجمه والصفدي في الوافي بالوفيات .

٣٨ — القلائد الدرية في المدائح المستعصمية ، وهو قصائد في مدح الخليفة المستعصم بالله ، ذكره ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب ، قال في ترجمة « مجد الدين أبي المعالي محمد بن أبي علي سالم بن علي بن مسافر الحديثي الشاعر » : « ذكره شيخنا تاج الدين في كتاب القلائد الدرية في المدائح المستعصمية .. »^(١) .

٣٩ — لطائف المعاني في شعراء زمانى ، ذكره ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب أيضاً غير مرة ، ونقل منه ، وذكره حاجي خليفة في باب « الشين » باسم « شعراء الزمان » وفي باب « اللام » بالاسم الثانى ، وقال في مادة التاربخ « وله تاريخ آخر لشعراء عصره » .

٤٠ — المحب والمحبوب ، ورد ذكره في منتخب المختار في سيرته .

٤١ — المدائح الوزيرية ، ذكره ابن الفوطي في ترجمة « فخر الدين أبي علي محمد بن عبد الرحمن بن أبي البقاء عبد الله العكبرى الكاتب » حفيد أستاذ المؤلف ، قال : « من فضلاء الزمان ، سمع جده أبا البقاء وتأدب ونظم الأشعار الرائقة . أنشد له شيخنا تاج الدين في « المدائح الوزيرية » يهنئه بالوزارة ... »^(٢) .

٤٢ — مرآى الجهة السعيدة زمرد خاتون والدة الخليفة الناصر لدين الله ، ذكره المؤلف في كتابه الجامع المختصر « ٩ : ٢٧٩ » .

٤٣ — المشيخة وهى كتاب فيه مختصرات لسيّر من سمع المؤلف عليهم من

(١) ج ٥ في الترجمة ٤٨١ من الميم .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، الورقة ٣٣٠ » .

الشيخ الرواة ومن أجازوا له ، وقد ذكرها ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ، قال فيه ترجمته . نقلاً من تاريخ الذهبي : « وقد أورد الكازروني في ترجمة ابن الساعي أسماء التصانيف التي صنفها وهي كثيرة جداً لعلها وقر بعير منها مشيخته بالسمع والإجازة في عشر مجلدات^(١) ، . . . » والقول عينه وارد في منتقى المعجم الكبير للذهبي ، وفي الوافي بالوفيات أنها في عشرين مجلداً . وكذلك عدد مجلداتها في كشف الظنون .

٤٤ — المعلم الأتابكي ، قدمنا الكلام عليه في سيرته ، وذكره ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب قال في ترجمة الملك القاهر محمد (كذا) بن نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل والجزيرة وسنجار : « ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب في كتابه (المعلم الأتابكي) الذي صنّفه لصاحب شهرزور^(٢) » . وذكره حاجي خليفة في « المعلم » وفي التاريخ من كشف الظنون :

٤٥ — المقابر المشهورة والمشاهد المزورة ، مجلد واحد ذكره مؤلف كشف الظنون في مادته وفي « التاريخ » .

٤٦ — مناقب الخلفاء الأربعة ، وهم الراشدون الأولون ، ذكره حاجي خليفة أيضاً وقال : « ثلاث مجلدات » وذكره السخاوي في الإعلان باسم مناقب الخلفاء « ص ٩٦ » .

٤٧ — مناقب الخلفاء العباسيين ، جاء ذكره في منتخب المختار مع تأليف ابن الساعي .

٤٨ — المناقب العلية لمدرسي المدرسة النظامية ، ورد ذكره في المنتخب أيضاً .

(١) شذرات الذهب « ٥ : ٣٤٣ - ٤ » . « والمفرد مجلد » .

(٢) النسخة المقدم ذكرها « الورقة ٣٩٠ » .

٤٩ — منهاج الطالبين في معرفة نقباء العباسيين، ذكره ابن الفوطى في تلخيص معجم الألقاب . قال في ترجمة مجد الدين أبى الحسن على بن الأتقى أبى أحمد طلحة ابن عبد الله الزينبى العباسى : ذكره شيخنا في كتاب منهاج الطالبين في معرفة نقباء العباسيين^(١) .

٥٠ — نزهة الأبصار في أخبار ابنى المستعصم بالله العباسى : قدمنا ذكره في أثناء سيرته . قال الذهبي : « هو في أخبار ابنى المستعصم السعيد وما أنفق عليها من الأموال وتفاصيل ما عمل من المأكول والملبوس وما عمل من المدائح ، وذكره الصلاح الصفدى في الوافى بالوفيات^(٢) ، وابن تغرى بردى في (المهمل الصافى والمستوفى بعد الوافى)^(٣) » .

٥١ — نزهة الأبصار في معرفة نقباء الأسرة الأطهار ، وهم نقباء الطالبين من بنى على بن أبى طالب — ٤ — ذكره ابن الفوطى في تلخيص معجم الألقاب قال في ترجمة مجد الدين على بن الحسين بن باقى الحلى القاضى : ذكره شيخنا تاج الدين فى كتابه نزهة الأبصار فى معرفة النقباء الأطهار » وكرر ذكره ونقل منه فى غير هذا الموضع^(٤) . وذكره هو فى كتابه الجامع المختصر « ٩ : ٧٩ » وأشار إليه حاجى خليفة فى كشف الظنون .

٥٢ — نزهة الراغب المعتبر فى سيرة الملك قُشْتَمِر ، ذكره هو فى الجامع المختصر « ٩ : ٤٣ » ، وهو فى سيرة الأمير قشتمر من ممالك الخليفة الناصر لدين الله .

(١) تلخيص معجم الألقاب « ج ٥ فى الترجمة ٣٧٥ » .

(٢) نسخة المجمع العلمى العربى المصورة « ٨٨ : ١٢ » .

(٣) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس « ٢٠٧١ الورقة ١١٨ » .

(٤) تلخيص معجم الألقاب « ج ٥ فى الترجمة ٣٧٠ من الميم ، وفى الترجمتين « ٥١٥ »

- ٥٣ — نظم منشور الكلام في ذكر الخلفاء الكرام ، ذكره حاجي خليفة في مادة « تاريخ » من الكشف .
- ٥٤ — نهاية الفوائد الأدبية في شرح المقامات الحريرية . في خمسة وعشرين مجلداً ، جاء ذكره في منتخب المختار .
- ٥٥ — الوزراء أو أخبار الوزراء ، ذكره حاجي خليفة في « أخبار الوزراء » و « كتاب الوزراء » من كشف الظنون .
- ٥٦ — ولاية خوزستان ، ذكره ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب ، قال في ترجمة ، مجاهد الدين ياقوت بن عبد الله الرومي : ذكره شيخنا تاج الدين في كتاب ولاية خوزستان وقال . . . (١) .

(١) المرجع المذكور « ج ٥ في الترجمة ١٤٨ من الميم » .

حقيقة الكتاب

يعود الفضل في تعريف وإعلامي بهذا الكتاب إلى الأستاذ العلامة « لويس ماسنيون » المستشرق المشهور ، فقد ذكر لي في كتاب كتبه إلى في التاريخ ١٩٤٩ / ٩ / ٤ أن الأستاذ مكرم خلیل مدرس التاريخ بجامعة استانبول وقّعه على كتاب مخطوط اسمه « جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء » تأليف كمال الدين عبد الزقاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي المؤرخ ، وهو محفوظ في خزانة كتب « ولي الدين » الموقوفة في استانبول ، في مجموعة أرقامها « ٢٦٢٤ » . ولم أدر كيف تهيأ للأستاذ مكرم خلیل أن ينسب هذا الكتاب إلى ابن الفوطي المذكور ؟ ولا دليل على ذلك فيه ولا خارجة ، فحاجي خليفة لم يذكر أن لابن الفوطي كتاباً اسمه « جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء » بل ذكره باسم « تاريخ نساء الخلفاء » لابن الساعي قال : « تاريخ نساء الخلفاء من الحرائر والإماء لتاج الدين علي بن أنجب البغدادي المتوفى سنة أربع وسبعين وستمائة^(١) » . ثم كرّر ذكره باسم « نساء الخلفاء » في النون قال : « نساء الخلفاء من الحرائر والإماء ، تاريخ لعلي بن أنجب البغدادي المؤرخ المتوفى سنة أربع وسبعين وستمائة^(٢) » . ومعلوم أنه أراد بنساء الخلفاء « جهات الخلفاء » جمع الجهة وهي السيدة المحترمة المتزوجة ، كما سيأتي بيانه في التعليق على هذه الكلمة في أول الكتاب ، هذا هو الدليل الأول على أن هذا الكتاب هو تأليف ابن الساعي على ابن أنجب البغدادي . والدليل الثاني هو أن المؤلف ذكر في مقدمة كتابه هذا أو خطبته أن له كتاباً اسمه « أخبار من أدركت خلافة ولدها » وقد ذكرناه في

(١) كشف الظنون « في العمود ٣٠٨ » من طبعة وكالة المعارف التركية .

(٢) المرجع المذكور « في العمود ١٩٥٠ » .

ثبت كُتُبُه باسم « تاريخ مَنْ أدركت خلافة ولدها » وهو لابن الساعى حقاً ، ذكر ذلك عبد الرحمن الأربلى فى تاريخه ولم يصرِّح باسم مؤلفه^(١) ، إلا أننا نعلم أنه ينقل من كتب شيخه ابن الساعى كما قدمنا الإشارة إليه ، وذكره ابن تغرى بردى فى بعض تواريخه . كما نقلناه آنفاً ، إلا أنه لم يصرِّح باسمه بل ذكر منه اسم « سمر » وهى أم أولاد المستعصم بالله « أحمد وعبد الرحمن والمبارك » . وإن لم يُذكر السيدة سمر فى هذا الكتاب أغنى كتاب « جهات الأئمة الخلفاء » فهى قد ذكرت فى « أخبار من أدركت خلافة ولدها » أو أدركت ولايته لامهد^(٢) . والدليل الثالث هو أن الشيوخ الذين روى مؤلف « جهات الأئمة الخلفاء » عنهم الأخبار هم بين شيخ معروف من شيوخ ابن الساعى كمحب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادى الذى ذكرنا أن ابن الساعى قرأ عليه تاريخ بغداد من تأليفه ، وشيخ لا يصلح أن يكون راوياً لابن الفوطى لوفاته قبل ميلاد ابن الفوطى ، فقد روى المؤلف عن ابن النجار فى ترجمة « ناشب المتوكلية » قال : « قرأت على الحافظ أبى عبد الله البغدادى قال أخبرنى عيسى بن عبد العزيز اللخعى ... » . وأبو عبد الله البغدادى هو محب الدين محمد بن محمود بن النجار . وروى عنه أيضاً فى ترجمة « دولة جارية ابن المعتز » قال : « أخبرنى الحافظ أبو عبد الله البغدادى عن أبى القاسم الأزجى ... » وأبو القاسم الأزجى هو يحيى بن أسعد بن بوش ، توفى سنة ٥٩٣ كما سيأتى فى حواشى الكتاب ، وحدَّث عنه فى سيرة « قبيحة جارية العباس بن الحسن » قال : « قرأت على الحافظ أبى عبد الله البغدادى عن ذاكر بن كامل الحذاء ... » وصرِّح باسمه الكامل فى ترجمة « ست النساء بنت طولون » قال : « قرأت على العدل محمد بن محمود بن الحسن الشافعى قلت له : قرأت على أبى عبد الله الحنبلى

(١) خلاصة الذهب المسبوك « ١٩٧ » .

(٢) كان ابنها أبو العباس أحمد ولى عهد الخلافة العباسية ، وقد قتله هولاكو المغول مع أبيه وأخيه عبد الرحمن عند احتلاله بغداد .

بأصبهان . . . » . وكانت وفاة ابن النجار في خامس شعبان سنة ٦٤٣ هـ^(١) وكان ميلاد ابن الفوطى في سابع عشر المحرم سنة ٦٤٢ هـ^(٢) أى قبل وفاة ابن النجار بسبعة أشهر تقريباً .

وروى المؤلف عن عبد الوهاب بن على الأمين المحدث الصوفى المعروف بابن سُكَيْنَةَ، وقد كانت وفاته سنة ٦٠٧ كما سيأتى فى التعليق على اسمه . وقد ذكر الذهبى أن ابن النجار ترجمه فى كتابه^(٣) . وترجمته مذكورة فى تاريخ ابن النجار كما قال الذهبى ، قال ابن النجار : « عبد الوهاب بن على بن على بن عبيد الله أبو أحمد بن أبى منصور الأمين المعروف بابن سُكَيْنَةَ^(٤) » . ومؤلف هذا الكتاب يقول فى أول كتابه فى ترجمة « حمادة بنت عيسى » : « أخبرنى عبد الوهاب بن على الأمين إجازة قال أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الشيبانى . . . » . ثم قال فى ترجمة « عريب المأمونية » : « أنبأنى أبو أحمد الأمين عن ابن ناصر . . . » وأبو أحمد الأمين هو عبد الوهاب ابن سُكَيْنَةَ كما قدمنا فى نقل نسبه آنفاً، ومما ذكرنا يُعلم أنَّ عبد الوهاب بن سكينة توفى قبل مولد ابن الفوطى بخميس وثلاثين سنة ، فلا يصح أن يكون ابن الفوطى راوياً عنه بلا واسطة فى كل حال من أحوال الرواية : سماعاً وإجازة ومناولة . وروى مؤلف هذا الكتاب عن « عبد الرحمن بن سعد الله الواسطى الدقيقى الطحَّان » فى ترجمة « عريب المأمونية » وترجمة « بنان جارية المتوكل » وترجمة « محبوبة جارية المتوكل » وسيرة « نبت جارية المعتمد على الله » . وفى الموضع الأول قال : « وأنبأنى عبد الرحمن بن سعد الله الدقيقى عن أبى القاسم بن السمرقندى . . . » وفى الثانى : « أنبأنى عبد الرحمن الطحَّان عن

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى « ٥ : ٤١ » .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ٢ : ٣٧٤ طبعة مصر » .

(٣) تاريخ الإسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١٦٠ » .

(٤) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، الورقة ٦٤ » .

أبي القاسم بن السمرقندي . . . » . وفي الثالث : « أخبرني عبد الرحمن بن سعد الله الواسطيّ إذنا عن أبي القاسم بن السمرقندي . . » . وفي الرابع : « وأنبأني عبد الرحمن بن سعد الله الدقيقي عن أبي القاسم بن السمرقندي . . . » . وسيأتي في التعليق على اسمه أنه توفي سنة ٦١٥ هـ^(١) أي قبل مولد ابن الفوطي بسبع وعشرين سنة .

وروى المؤلف عن علي بن عبد الرحمن بن الجوزي وهو ابن أبي الفرج بن الجوزي العلامة الفقيه المفسر الواعظ المؤلف المشهور وذلك في ترجمة « بوران بنت الحسن بن سهل » وفي سيرة « قطر الندى بنت خمارويه » . قال في الموضع الأول : « أخبرني أبو القاسم علي بن عبد الرحمن بن علي إذنا عن [أبي] محمد < بن >^(٢) عبد الله بن الخشاب النحوي . . . » وفي الموضع الثاني : « أنبأني أبو القاسم علي بن عبد الرحمن ابن علي عن أحمد بن المقرّب . . . » . وسيأتي في التعليق على ترجمة علي بن الجوزي هذا أنه توفي في سلخ شهر رمضان سنة ٦٣٠ هـ^(٣) أي قبل مولد ابن الفوطي باثنتي عشرة سنة .

وروى المؤلف عن أبي محمد عبد العزيز بن محمود المبارك الجنايذي المعروف بابن الأخضر في ترجمة « قرّة العين جارية المعتصم بالله » قال : « أنبأني أبو محمد الجنايذي عن أبي بكر الحنبلي . . . » . وأبو محمد الجنايذي هو عبد العزيز بن محمود بن الأخضر ، المقدم ذكره ، قال ياقوت الحموي : « جُنايذ . . . ناحية من نواحي نيسابور وأكثر الناس يقولون إنها من نواحي قهستان من أعمال نيسابور

(١) تاريخ بغداد لابن الدبيقي « نسخة دار كتب كبريج ٢٩٢٤ الورقة ٣٥ » تاريخ الإسلام للذهبي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ٢١٧ » .

(٢) علامة للمزيد في نص الكتاب غلطاً ، والتي قبلها للناقص من الكتاب سهواً .

(٣) التكملة لوفيات النقلة ، لزكي الدين المنذري « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية » ١٩٧٢

د ج ٢ الورقة ١٣٤ . ومراة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٦٧٨ طبعة حيدر آباد » . وشذرات الذهب . . . « ١٣٧ » .

وهي كورة يقال لها كُنَابَذ، وقيل هي قرية ينسب إليها خلق من أهل العلم . . .
 وشيخنا عبد العزيز بن المبارك^(١) بن محمود الجُنَابَذِي الأصل ، البغدادي المولد
 والدار ، يكنى أبا محمد بن أبي نصر بن أبي القاسم ويعرف بابن الأخضر ، يسكن
 درب القَيَّار من محال نهر المَعْلَى شرقي بغداد . . .^(٢) » .

وروى المؤلف عن محمد بن عبد الواحد الهاشمي في ترجمة « قبيحة مولاة العباس
 ابن الحسن » المقدم ذكرها آنفاً ، قال : « أنبأني محمد بن عبد الواحد الهاشمي عن
 محمد بن عبد الله قال أخبرنا المبارك بن عبد الجبار إذناً . . . » . وسيأتي في التعليق
 على ترجمته أنه توفي سنة « ٦٤٠ هـ » أي قبل ميلاد ابن الفوطي بسنتين .

والدليل الرابع هو ما ورد في سيرة « شاهان جارية المستنصر بالله » وهو قول
 المؤلف : « ولما تُوفِّي مولاها الإمام المستنصر بالله . . . وبويع ولده سيدنا ومولانا
 الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين — أيد الله شريف دولته القاهرة ، وبلغه آماله
 في الدنيا والآخرة — أجراها على عاداتها . . . » . فهذا كلام مؤرخ يمدح المستنصر
 بالله في حياته ، وألَّفَ تاريخه على عهده ، وهو أمر يوافق حال ابن الساعي لا حال
 ابن الفوطي ، والمستنصر ولي الخلافة سنة « ٦٤٠ » وقُتِل سنة « ٦٥٦ » وأسر المغولُ
 ابن الفوطي سنة وفاة المستنصر ، وعمره يومئذ أربع عشرة سنة ، فهو لم يؤلَّفْ شيئاً
 قبل أسره ولا عُرفَ له في ذلك الوقت كتابة أدبية تاريخية كائناً ما كان نوعها ،
 بله أن الذي عمره أربع عشرة سنة عاجز بالبداهة عن التأليف والتصنيف والإسناد
 إلى الشيوخ الكبار كما هو ظاهر في هذا الكتاب ، فهذا الكتاب من تصانيف

(١) الصواب « ابن محمود بن المبارك » راجع الكامل في حوادث سنة « ٦١١ » وذيل الروضتين
 « ص ٨٨ » وذيل طبقات ابن رجب « ٢ : ٧٩ » والشذرات « ٥ : ٤٦ » وغيرها ، وجاء في تذكرة
 الحفاظ للذهبي « ٤ : ١٧٠ » عبد العزيز بن مسعود وهو خطأ ، ولم يصحح هذا الخطأ مصلحو معجم
 البلدان ، طبعة دار صادر بيروت .

(٢) معجم البلدان في « جنابذ » .

(٣) التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية » ٢ : ٢٩٧ .

تاج الدين على بن أنجب المعروف بابن الساعى ولا صلة له بابن الفوطى ، والغريب أن اسم المؤلف لم يكتب على الكتاب بل جاء فى أول ورقة منه « كتاب جهات الأئمة ^(١) الخلفاء من الحرائر والإماء » . وكأنه كان من الشهرة والشيوع والذيع بحيث لم يحتج إلى ذكر مؤلفه . وهذا خطأ مُبين فى نسخ المؤلفات والمصنفات ، لأن العصور مختلفة، والمعارف متغيرة متبدلة ، فالكتاب المشهور فى عصر قد يخمل ذكره فى عصر آخر ، والمؤلف المعروف فى زمن من الأزمان قد تذهب شهرته فى عصر آخر، أو يذهب كثير منها ، فابن النجار المؤرخ البغدادى ، كان عمدة المؤرخين فى أزمان طويلة ، ولا يعرفه اليوم إلا من تبخر فى التواريخ ^(٢) .

(١) يجوز قلب الهمزة ياء للتخفيف .

(٢) ومن المجهولين اليوم من المؤرخين على بن محمد الكازرونى، ومحمد بن أحمد القادسى، وعز الدين الحسن بن أحمد بن زفر الأربلى صاحب المجاميع التاريخية فى سير الشعراء والأدباء والأعيان ، وراوى قصة صنى الدين عبد المؤمن بن يوسف الأرموى مع هولاكو «راجع ثمرات الأوراق لابن حجة ج ٢ ص ٣٤» .

مصدر النسخة وصفتها

ذكرنا فضل الأستاذ العلامة ماسنيون في تنبيهنا على وجود هذه النسخة في مجموعة من مجاميع خزانة كتب ولي الدين باستانبول ، وبعد علمنا بذلك تاقت النفس إلى الاطلاع على مضمون الكتاب ، ولم نجد فرصة لتصويره بالمايكرو فيلم إلا سنة ١٩٥٢ ففيها أقيم مهرجان ألثي لمولد ابن سينا الحكيم الفيلسوف ببغداد ، ودُعي إليه أعيان العلماء والمحققين من شرقيين ومستشرقين ، وكان في الوفد العلمي التركي الأستاذ الأديب اللغوي الأريب « أحمد آتش » مدرس الأدب العربي والأدب الفارسي في جامعة استانبول ، فرغبت إليه أن يصوّر لي هذه النسخة بالمايكرو فيلم ، فأجابني إلى ذلك — حفظه الله — بغير تلسكؤ ولا اعتذار ، وما كاد يعود إلى استانبول حتى صوّرها بفيلم ، ومقدار أوراقها « خمسون ورقة » في شريط تصويري واحد ، كما هو مألوف ، وسلم — أيده الله — التصوير إلى قنصل العراق باستانبول فبعث به إليّ متلطفاً ، وقد كتبت كتاباً إلى الأستاذ الأريب « أحمد آتش » أستعلم مقدار النفقة على تصوير الفيلم فلم يرِدْ عليّ منه جواب ، ولعله سكت عن الإجابة استقلالاً للمبلغ — أحسن الله جزاءه عن العلم والأدب وأهليهما — .

ولما حصل فيلم النسخة في يدي طلبت إلى إدارة مجمعنا العلمي العراقي أن تصوّره بنفقتي على ورق « الفوتوستات » ليكون صالحاً للقراءة والنشر ، وفي المجمع جهاز آلي تصويري يعالج هذا وأمثاله ، فصوّرت النسخة فيه وكانت النفقة على التصوير بل أجرته خمسة دنانير ، لخمسين ورقة ، وهي مجموع ورق الكتاب ، وبقيت النسخة المصوّرة في خزانة كتبني حتى هبّا الله تعالى لها هذه الفرصة ، ففسختها وصححت ما فيها من خطأ النسخ وعلقت عليها تعاليق تختلف قصراً وطولاً ، على حسب

الحاجة ، وأرجو أن لا تخلو من فائدة ، يقطفها القارئ في أثناء قراءته الكتاب ،
والباحث عند استمداده منه ، ولا أبرئ نفسي من تقصير ولا من ذهول . فإن نشر
كتاب مخطوط أول مرة لا يبلغ السكال في كل الأحوال .

وخط النسخة نسخي واضح ، إلى الجمال ما هو ، وتاريخه هو « يوم الثلاثاء
رابع شهر رجب الفرد سنة تسعمائة » كما جاء في آخر الكتاب ، وقد جاء في الورقة
الخمس ما هذا نصه « نبذة بسيرة من نكت الظرفاء : قيل جاء رجل إلى سليمان
ابن داود عليه السلام . . . » .

هذا وينبغي لنا أن ننبه على أن الناسخ لم يكن من الأدباء المحققين لأنه نقل في
عدة مواضع ما لم يفهمه من الكتاب ، ونسخ ما هو غير واضح ، لوقوع الخطأ في
نسخه ، وهو يترك بعض النقط أحياناً فيكتب ثقتي « ثعتي » ، والهمز أحياناً مثل
« الخلفاء » أي الخلفاء ، ومجى بمعنى « المجيء » ، ويقلب الهمزة أحياناً مثل
« الحرير » للحرائر ، ويهمل نقط الياء تارات ففيه مثل « يتزوج جاريتي بعد أن
يلي الخلافة » ويجمع آونة بين العوض والعوض عنه مثل « لبكايه » ، ويترك
نقط التاء أحياناً مثل « بدعه » لبدعة ، و « متوقفه » لمتوقفة .

وقد حدث خلل في النسخة وهو أن قسماً من أخبار « عنان جارية الناطفي »
أُدغم في أخبار « بدعة الكبيرة » فأستوجب ذلك تنبيهنا وإصلاح الخلل ، ولم ينبه
على ذلك أحد قبلنا .

وأختم هذا التصدير بأن أذكر أن المؤلف لم يلتزم شرط كتابه بتضمينه إياه نساء
الخلفاء من الحرائر والنساء حسب ، فقد أضاف إليه من نساء السلاطين كخاتون
السفريّة حظيّة السلطان ملكشاه ، وزبيدة زوجة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه ،
ومن نساء الأمراء كسريّة الراقية ، وست النساء الطولونية ، وقبيحة مولاة الوزير
العباس بن الحسن وزير المقتدر بالله ، وبالله ثقتي وعليه اعتمادى وتوكلى وهو
الموفق للصواب .

مصطفى جواد

نساء الخلفاء

المسقى

جهات الأئمة الخلفاء من البراءة والإمام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ تَقِي

(١ ظ)

أما بعد حمد الله رب العالمين ، والصلاة على سيدنا محمد وآله أجمعين ،
فإني لما جمعتُ كتاب « أخبار مَنْ أدركتْ خلافةَ وَلَدِهَا » من
جِهَاتٍ^(١) الخلفاء ، ذوات المعروف والعطاء ، أُحِبُّتُ أَنْ أَذْكَرَ مَنْ
اشتهرَ ذِكْرُهَا من حظايا الخلفاء ، الحرائر والإماء ، وبالله التوفيق .

١ - حَمَادَةُ^(٢) بِنْتُ عَيْسَى^(٣)

زوجة الإمام أبي جعفر عبد الله المنصور . أخبرني عبد الوهاب بن علي

(١) جهات جمع جهة ، وهي كناية عن زوجة الخليفة أو حظيته ، وعن
زوجة السلطان أو حظيته ، استعملت كذلك في العصر السلجوقي وما بعده ،
وأريد بها أحياناً « السيدة » المتزوجة مطلقاً « الكامل ج ١٠ ص ٧ طبعة أحمد
الحلي سنة ١٣٠٣ » و « المنتظم ج ٨ ص ١٧٠ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ وغيرها » .
« مختصر مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٤٥ طبعة حيدر آباد الدكن » و « مختصر مناقب بغداد
ص ٢٠ بمطبعة دار السلام ببغداد » و « كتاب الأموال لأبي عبيد ، ص ٦١٥ طبعة
عبد اللطيف الحجازي بالقاهرة » و « مختصر صبح الأعشى ص ٣٨٦ » . وسيرد
استعمال المؤلف « الجهة » بمعنى السيدة في هذا الكتاب غير مرة .

(٢) ورد ذكرها في الأغاني ج ١٠ ص ٢٦٢ طبعة دار الكتب المصرية .
و « ج ٩ ص ١٢٨ طبعة محمد ساسى بمصر » .

(٣) هو عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عم السفاح
والمنصور وإليه نسب قصر عيسى وقطيفة عيسى بالجانب الغربي من بغداد . ولد
سنة ٨٣ وتوفي ببغداد سنة ١٦٤ « تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١ ص ٩٢ ،
وج ١١ ص ١٤٧ » ومعجم البلدان لياقوت الحموي في « قصر » و « قطيفة » .

الأمين^(١) إجازة ، قال أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الشَّيباني ، أخبرنا أحمد بن علي الحافظ أخبرنا الحسن بن أبي بكر أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد (٢) ابن عبد الله بن زياد القَطَّان سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً يقول : « لما ماتت حَمَادَةُ بنت عيسى زوجة المنصور وقف المنصور والناس معه على حُفْرَتِهَا ينتظرون مجيء الجَنَازَةِ وأبو دُلَامَةَ فيهم ، فأقبل عليه المنصور فقال : يا أبا دُلَامَةَ ما أعددت لهذا المَصْرَع ؟ قال : حَمَادَةُ بنت عيسى يا أمير المؤمنين^(٢) . قال فضحك القوم . »

(١) الأمين ويجمع في التكسير على الأمناء ، هو الرجل الذي يستحفظه القاضي أموال الأيتام والغائبين « معيد النعم ومُبيد النقم ص ٦٢ طبع دار الكتاب العربي » . وأبو أحمد الأمين هو شيخ الشيوخ ضياء الدين عبد الوهاب بن علي ابن علي بن عبيد الله البغدادي الشافعي المحدث الزاهد الفقيه الورع المقرئ البارع ، ولد ببغداد سنة ٥١٩ هـ وتوفي بها سنة ٦٠٧ هـ ، وترجمته مفصلة في ذيل تاريخ بغداد لابن الدبئي « نسخة دار الكتب الوطنية ببائيس ٥٩٢٢ الورقة ١٥٥ » ، والتاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، الورقة ٦٤ » ، والتكملة لوفيات النقلة ، لزكي الدين عبد العظيم المنذري المصري « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية ١٩٨ د ج ١ الورقة ٢٧ » ، والكامل في وفيات سنة ٦٠٧ ، وذيل الروضتين لأبي شامة المقدسي « ص ٧٠ » ، وتاريخ الإسلام « نسخة دار الكتب الوطنية ببائيس ١٥٨٢ الورقة ١٦٠ » والوافي بالوفيات للصفدي « نسخة ببائيس ٢٠٦٦ الورقة ٢٩٠ » . وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة « نسخة ببائيس ٢١٠٢ الورقة ٥٧ » ، والنجوم الزاهرة « ج ٦ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ » ، والشذرات « ٥ : ٢٥ » وغيرها .

(٢) في الأغاني « ١٠ - ٢٦٢ » أن أبا دلامة أجابه قائلا : « بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى ، يجاء بها الساعة فتدفن فيها » وتمام الخبر فيه هو : « فضحك المنصور حتى غلب فستر وجهه » . وأبو دلامة زند بن الجون له ترجمة في الأغاني « ج ١٠ ص ٢٣٥ » ووفيات الأعيان وغيرها .

٢ - غادر^(١) جارية الإمام الهادي

قال جعفر^(٢) بن قدامة : « كانت من أحسن الناس وجهًا وغناءً ، وكان يُحبُّها حبًّا شديدًا ، فبينما هي تُغنيُّه يوماً عَرَضَ له فِكرٌ وسهو ، فسأله مَنْ حَضَرَ مِنْ خواصِّه فقال : قد وقع في فِكرى أنى أموت وأنَّ أخى هارون يتزوَّج جاريتى بعد أن يلىَّ الخلافة . فقيل له نُعيدُك بالله ، (٢ ظ) ويُقدِّمُ الكلُّ قبلك . فأمر بإحضار أخيه وعَرَّفَه ما خَطَرَ له ، فأجابَه بما يُحبُّ من ذلك . فقال : لا أرضى حتى تحلفَ أنى متى مُتُّ لا تزوَّجُها . فحلفَه واستوفى عليه الأيمان : من الحجِّ راجلاً وطلاق الزوجات وعِتقِ المماليك وتَسْييل^(٣) ما يملكُه ، ثم أحلفَها بِمِثْلِ ذلك فحَلَفَتْ . فلم يَمُضِ على ذلك إلا شهرٌ ، ومات الهادي وبُويع الرشيد ،

(١) الأغاني « ج ١٩ ص ١٢٢ طبعة محمد ساسى .

(٢) قال أبو بكر الخطيب البغدادي : « أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم ، وافر الأدب ، حسن المعرفة ، وله مصنفات في صنعة الكتابة وغيرها » . « تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٠٧ » وكانت وفاته سنة ٣١٩ و « معجم الأدباء ج ٢ ص ٤١٢ » طبعة مرغوليوث . وذكره ابن النديم في الفهرست في ترجمة ولده « قدامة » قال : « كان أبوه جعفر ممن لا يفكر فيه ، ولا علم عنده » . « ص ١٨٨ من الطبعة المصرية » ، قال هذا مع أن أبا الفرج الأصبهاني يروى عنه « الأغاني ١ : ٨٣ ، ٢ : ٤٦ ، ٣ : ٢٨٠ » طبعة دار الكتب ، وهو فيه « جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب » . والذي في فهرست ابن النديم « قدامة بن جعفر بن قدامة » فهل قدامة ابن جعفر اثنان ؟ هذا هو الظاهر .

(٣) يقال « سَبَّلَ الشيء تسبيلاً أي جعله في سبيل الله ووقفه على وجوه البرِّ والإحسان » . « القاموس » .

فبعث إلى غادر وخطبها ، فقالت : كيف نصنع بالإيمان ؟ فقال :
 أَكْفَرُ عَنْ الْكُلِّ وَأَحْجُ رَاجِلًا . فَأَجَابَتْ ، وتزوجها وزاد شغفًا بها
 حتى إنه صار يضع رأسها في حجره ، فتنام فلا يتحرك حتى تنبيهه .
 (٥٣) فبينما هي نائمة ذات يوم أُنذِبت فرعة تبكى ، فسألها عن حالها ،
 فقالت : رأيت أخاك الساعة في النوم وهو يقول :

أَخْلَقْتَ وَعَدَيْ بَعْدَمَا جَاوَزْتُ سُكَّانَ الْمَقَابِرِ
 وَخَلَفْتَ لِي (١) أَيْمَانَكَ الْكُذْبَ الْفَوَاجِرُ
 وَنَكَحْتَ غَادِرَةً أَخَى صَدَقَ الَّذِي سَمَّاكَ غَادِرُ
 أَمْسَيْتُ فِي أَهْلِ الْبَيْلِ وَغَدَوْتُ فِي الْحُورِ الْعَوَائِرِ (٢)
 لَا يَهْنِكُ الْإِلْفُ الْجَدِيدُ وَلَا تَدُرُ عَنْكَ الدَّوَائِرُ
 وَلِحَقَّتْ بِي قَبْلَ الصَّبَا حِجْ وَصِرْتُ حَيْثُ غَدَوْتُ صَائِرُ

والله يا أمير المؤمنين وكأنني أسمعها وكأنما كتبها في قلبي فما نسيتُ
 منها كلمة . فقال لها الرشيد : أضغات أحلام . فقالت : كلا . ثم
 لم تزل تضطرب وترعد ، حتى ماتت بين يديه ، وذلك في سنة
 ثلاث وسبعين ومائة .

(١) نقصان في نسخة الأصل .

(٢) هكذا وردت الكلمة في الأصل ، والعوائر جمع العائرة من عارت
 تغير أي ذهبت وجاءت فهي حرة الحركات أو هي « العوائر » جمع العائرة .

٣ - عِنَانُ^(١) بنت عبد الله جارية الناطفي

كانت شاعرة ظريفة ، ولها أخبار مدونة ، ذكرها أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني فقال : « كانت عِنَانُ جارية النطاف^(٢) صفراء مَوْلدة من مَوْلدات اليمامة وبها نشأت وأدبت ، واشتراها النطاف ، وهم الرشيد بابتياعها منه فمنعه منها اشتهاؤها وما هجاها به الشعراء مع حبِّه لها وميله إليها ، وإيثاره إياها . وقيل إنه أحضرها لibtاءها من سيدها فطلب ثمنها مائة ألف درهم ، فأحضرها الرشيد عنده ثم ردّها ، فتصدق سيدها بثلاثين ألف درهم . فلما مات مولاها (٤٠) بيعت بمائتي ألف درهم . وكانت أوّل من اشتهر بقول الشعر في الدولة العباسية وأفضّل من عُرِفَ من طبقتها . ولم يزل فحول الشعراء في

(١) الأغاني « ج ١٠ ص ٩٦ و ج ٢٠ ص ٧٦ طبعة محمد ساسي » ، والمحاسن والأضداد المنسوب غلطاً إلى الجاحظ « ص ١٤٨ طبعة المطبعة المعاهد بمصر » ، والوزراء والكتاب للجهمشياري « ص ١٥٩ طبعة عبد الحميد حنفي بمصر ، وفهرست ديوان أبي نواس ، و بدائع البدائ « ص ٤٨ » ، وطبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز « ص ٤٢١ » . والعقد الفريد « ٥٧ : ٦ » وديوان العباس بن الأحنف « ص ١٠٧ » ، وكتاب الورقة لابن الجراح « ص ٣٩ وغيرها » والجزء الثالث والعشرون من الأغاني من نسخة خزائن فيض الله بالآستانة المصورة بدار الكتب المصرية برقم ١٩٠١٨ ز .

(٢) النطاف والناطفي : بائع الناطف وهو نوع من الحلوى اسمه « القُبَيْطُ » أيضاً ، ولا يزال معروفاً بهذا الاسم - أعني الناطف - في ماردن وما حولها ، وهذه الحلوى إذا باتت فقدت لذتها ونفاستها .

عصرها يَلْقَوْنَهَا فِي مَنْزِلِ مَوْلَاهَا ، فَيُقَارِضُونَهَا الشَّعْرَ وَتَنْتَصِفُ مِنْهُمْ .
وَأُعْتِقَتْ بَعْدَ وَفَاةٍ مَوْلَاهَا إِمَّا بِعِتْقٍ كَانَ مِنْهُ لَهَا أَوْ أَنَّهَا وَلَدَتْ مِنْهُ ^(١) .
وَرَوَى الْأَصْفَهَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ إِلَى مَرْوَانَ ^(٢) بَنَ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ : « لَقِيَنِي
النَّاطِقِيُّ فَدَعَانِي إِلَى عِنَانٍ . قَالَ : فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ فَدَخَلَ إِلَيَّهَا قَبْلِي ، فَقَالَ لَهَا :
قَدْ جِئْتُكَ بِأَشْعَرِ النَّاسِ مَرْوَانَ بَنَ أَبِي حَفْصَةَ . وَكَانَتْ عَلِيلَةً ، فَقَالَتْ :
(٤ ط) إِنِّي عَنْ مَرْوَانَ لَفِي شَغْلٍ . فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِسَوْطِهِ فَضَرَبَهَا بِهِ ، وَقَالَ لِي :
أَدْخُلْ . فَدَخَلْتُ وَهِيَ تَبْكِي ، فَرَأَيْتُ الدَّمْعَ تَتَحَدَّرُ مِنْ عَيْنَيْهَا فَقُلْتُ :
بَكَتْ عِنَانٌ مُسْبِلًا دَمْعُهَا كَالدُّرِّ إِذْ يَسْبِقُ مِنْ خَيْطِهِ ^(٣)
فَقَالَتْ مُسْرِعَةً :

فَلَيْتَ مَنْ يَضْرِبُهَا ظَالِمًا تَيْبَسُ يُمْنَاهُ عَلَى سَوْطِهِ
فَقُلْتُ لِلنَّطَافِ : أُعْتِقَ مَرْوَانُ مَا يَمْلِكُ إِنْ كَانَ فِي الْإِنْسِ وَالْجِنِّ
أَشْعَرُ مِنْهَا .

(١) لَا يَتَّفَقُ هَذَا الْقَوْلُ وَمَا نَقَلَهُ آخَرًا مِنْ أَنَّهَا بَاعَتْ بَعْدَ وَفَاةٍ مَوْلَاهَا .
(٢) هُوَ أَبُو السَّمِطِ وَقِيلَ أَبُو الْهَيْذَامِ مَرْوَانَ بَنَ سُلَيْمَانَ بَنَ يَحْيَى بَنِ أَبِي
حَفْصَةَ مِنْ مَشَاهِيرِ الشُّعْرَاءِ فِي صَدْرِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، عَاصِرِ الْخَلِيفَةِ أَبِي جَعْفَرِ
الْمَنْصُورِ ، وَالْمُهْدِيِّ بَنِ الْمَنْصُورِ وَابْنِهِ مُوسَى الْهَادِي وَالرَّشِيدِ ، وَتَوَفَّى بِبَغْدَادَ سَنَةَ
« ١٨١ » أَوْ سَنَةَ « ١٨٢ » . « الْأَغَانِي ج ١٠ ص ٧١ وَمَوَاضِعُ أُخْرَى مِنَ الْأَغَانِي » ،
وَوَفِيَّاتُ الْأَعْيَانِ لِابْنِ خُلِكَانَ « ج ٢ ص ٢٠٦ طَبْعَةُ بِلَادِ الْعَجَم » ، وَالشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ
« ص ٢٩٥ ، طَبْعَةُ مِصْطَفَى مُحَمَّدٍ بِمِصْرَ » ، وَمَعْجَمُ الشُّعْرَاءِ لِلْمَرْزُبَانِيِّ « ص ٣٦٥ ،
٣٩٦ » وَشُعْرُهُ مُسْتَفِيزٌ فِي كُتُبِ الْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ لِمُعَاجَلَتِهِ الشُّعْرَ السِّيَاسِي .
(٣) فِي الْمَحَاسَنِ وَالْأَضْدَادِ :

إِنْ عِنَانًا أُرْسِلَتْ دَمْعُهَا كَالدُّرِّ إِذْ يَنْسِلُ مِنْ سَيْمَنْطِهِ

وَحَدَّثَ عَنْ الْجَوْهَرِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ
 قَالَ قَالَ رَجُلٌ : تَصَنَّنَحْتُ كُتُبًا فَوَجَدْتُ فِيهَا بَيْتًا جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ
 مَنْ يُجِيرُهُ فَلَمْ أَجِدْ ، فَقَالَ لِي صَدِيقٌ : عَلَيْكَ عِنَانٌ جَارِيَةٌ النَّاطِفِيُّ .
 فَأَتَيْتُهَا فَأَنْشَدْتُهَا :

(٥٠)

وَمَا زَالَ يَشْكُو الْحَبَّ حَتَّى رَأَيْتُهُ تَنْفَسَ مِنْ أَحْشَائِهِ وَتَكَلَّمَ

قَالَ : فَمَا لَبِثْتُ أَنْ قَالَتْ :

وَيَبْكِي فَأَبْكِي رَحْمَةً لِبَكَائِهِ إِذَا مَا بَكَى دَمْعًا بَكَيتُ لَهُ دَمًا

وَأَخْبَرَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَعْدٍ عَنْ
 مَسْعُودِ بْنِ عَيْسَى قَالَ أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ قَالَ : دَخَلَ
 أَبُو نُوَّاسٍ عَلَى النَّاطِفِيِّ ، وَعِنَانٌ جَارِيَتُهُ تَبْكِي ، وَخَذُّهَا عَلَى رَزَّةٍ فِي مِصْرَاعِ
 الْبَابِ وَقَدْ كَانَ النَّاطِفِيُّ ضَرْبَهَا . فَأَوْمَأَ إِلَى أَبِي نُوَّاسٍ أَنْ يُحَرِّكَهَا بِشَيْءٍ .
 فَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

(٥١)

عِنَانُ لَوْ جُدْتُ لِي فَأَيُّيَ مِنْ عُمَرِيِّ بَمَا آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا

يَعْنِي : فِي آخِرِ عَمْرِهِ ، لِأَنَّ ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾
 آخِرُ آيَةٍ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ^(١) . فَرَدَّتْ عَلَيْهِ عِنَانُ :

(١) سورة البقرة « الآية ٢٨٥ » وبعدها آيتان ، فليست آخر آية في
 هذه السورة .

فَإِنْ تَمَادَى^(١) - وَلَا تَمَادَيْتَ - فِي قَطْعِكَ حَبْلِي أَكُنْ كَمَنْ خَتَمَ
فَرَدَّ عَلَيْهَا :

عَلِقْتُ مَنْ لَوْ أَتَى عَلَى أَنْفُسِ^(٢) الْهَامِضِينَ وَالْغَابِرِينَ^(٣) مَا نَدِمَا
فَرَدَّتْ عَلَيْهِ :

لَوْ نَظَرْتُ عَيْنُهُ إِلَى حَجَرٍ وَلَدَ فِيهِ فَتُورُهَا سَقَمَا

وحدث^(٣) عن جعفر بن قدامة عن أبي العيناء عن العباس بن رستم
قال . دخلتُ أنا وأبان^(٤) اللاحقَ على عِنَانٍ جارية الناطقِ في يوم من

(١) أصله « تَمَادَى » مضارع « تَمَادَيْتَ » فحذفت التاء الزائدة للتخفيف
وبقيت تاء المضارعة ، والفعل مجزوم بإن الشرطية ، وحافظ على الألف في آخر
الفعل لضرورة الشعر ، فإن حذفها للجزم يؤدي إلى كسر البيت .

(٢) أراد بالغابرين « الباقيين » بدلالة مقابلة « الماضين » به وهذا هو الوجه
الفصيح في استعمال « الغابر » وهو الوارد في القرآن الكريم ، وأما استعمال
« الغابر » بمعنى الماضي وكونه من الأضداد « كتاب الأضداد لابن الأنباري
ص ١١١ » فناشئ من رأينا في تصحيف « العابر » بالعين المهملة ، قال الجوهري
في الصحاح : « وَعَبَّرَ الْقَوْمُ أَي مَاتُوا ، قَالَ الشَّاعِر :

فَإِنْ نَعْبُرُ فَإِنَّ لَنَا لُمَاتٍ وَإِنْ نَعْبُرُ فَنَحْنُ عَلَى نُذُورٍ
يقول : إن متنا فلنا أقران وإن بقينا فنحن ننتظر ما لا بدَّ منه كأنَّنا في إتيانه
نُذْرًا » اهـ .

(٣) روى أبو الفرج هذا الخبر في الأغاني « ٢٠ : ٧٦ » وأبو بكر الصولي
في كتابه الأوراق « ج ١ ص ٢٣ » طبعة المستشرق هيورث دن بمصر .

(٤) أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن غفر مولى بني رقاش شاعر بصرى
مطبوع انتقل إلى بغداد واختص بالبرامكة ، ونظم كليلة ودمنة في أربعة عشر
ألف بيت وقدمه إلى يحيى بن خالد بن برمك فأعطاه مائة ألف درهم وعمل له كتاب =

الصيف وهي جالسة في الخيش^(١) فقال لها أبان :

لذة عيشِ الصيفِ في الخيشِ^(١)

(١٦)

فقلت :

لا في لقاء الجيش بالجيش

فقلت :

كل يوم بأفحوانٍ جديدٍ تضحك الأرضُ عن بكاء السماء

فقلت :

فهني كالوشى من ثياب يمانٍ جلبتها التجارُ من صنعاء

فقال^(٢) لها مُعَرِّضًا بها : ما أَحْسَنَ ما قال جرير :

= المنطق بشعر أيضاً وأدب ابن المقفع ، وهو من أعيان الشعراء التعليميين وأسبقهم إلى الشعر التعليمي « أوراق الصولى ١ : ١ - ٥٢ » ، والأغاني « ٢٠ : ٧٣ » ، وفهرست ابن النديم « ١٦٣ » ، وطبقات الشعراء المنسوب إلى ابن المعتز « ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ » طبعة دار المعارف بمصر ، والبيان والتبيين للجاحظ « ١ : ٥٠ » طبعة لجنة التأليف والترجمة ، والحيوان له « ٤ : ٤٤٧ - ٤٥١ » و « ٥ : ٢٤١ » طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، والعمدة لابن رشيق « ج ١ ص ٦٤ » طبعة مطبعة السعادة بمصر .

(١) الخيش : ثياب في نسجها رقة وخيوطها غلاظ من مشاقة الكتان أو من أغلظ العَصَب جمعه أخياش وخيوش « القاموس » وهو معروف اليوم بمصر وعدة أقطار عربية .

(٢) في الأصل « وفكرت طويلا حتى قالت » وهو مخالف لسياق الخبر فصيرناه إلى ما ترى . وهذه التتمة نقلناها من ترجمة « بدعة الكبرى » الآتى ذكرها . لأن الناسخ أقحمها في الورقة « ١١ » وهي من ترجمة بدعة .

ظَلِمْتُ أُرَاعِي صَاحِبِي تَجَلُّدًا وَقَدْ عَلِقْتَنِي مِنْ هَوَاكِ عُلُوقٌ^(١)

فَقَالَتْ غَيْرَ مُتَوَقِّفَةٍ :

إِذَا عَقَلَ الْخَوْفُ اللِّسَانَ تَكَلَّمْتُ بِأَسْرَارِهِ عَيْنٌ عَلَيْهِ نَطُوقٌ

وعن جعفر بن قدامة وجَحْظَةُ قَالَا :

أُنْشَدَنَا هَبَّةُ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ قَالَ أُنْشَدَنِي أَبِي لِعِنَانٍ جَارِيَةٍ

النَّاطِفِيَّةُ^(٢) :

نَفْسِي عَلَى حَسَرَاتِهَا مَوْقُوفَةٌ فَوَدِدْتُ لَوْ خَرَجْتُ مَعَ الْحَسَرَاتِ

لَوْ فِي يَدَيَّ سِيَاقٌ^(٣) أَيَّامِي إِذَا خَطُرْفَتُهُنَّ^(٤) تَهْجُلًا لَوْ فَاتِي

لَا خَيْرَ بَعْدَكَ فِي الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا أَبْكِي مَخَافَةَ أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي

قال أبو الفرج : وهذه الأبيات رثت بها مولاها النطاف .

(١) ورد هذا البيت في ديوان جرير « ص ٣٩٧ طبعة الصاوي بمصر »

من قصيدة قافية ، يمدح بها الحجاج ، على هذه الصورة :

بِتُّ أُرَائِي صَاحِبِيَّ تَجَلُّدًا وَقَدْ عَلِقْتَنِي مِنْ هَوَاكِ عُلُوقٌ

(٢) في الأصل « سباب » . والسياق هو الموافق للسياق .

(٣) قال الجوهري في الصحاح : « خطرف البعير في سيره لغة في خذرف

إذا أسرع ووسّع الخطو بالطاء المعجمة » (كذا) ولا نرى وجهًا إلا لالخاء المعجمة

وجاء في المقاييس لابن فارس في المنحوت من باب الخاء : « ومن ذلك تخطرف

الشيء : إذا جاوزته وهي منحوتة من كلمتين : خطر وخطف لأنه يشب كأنه

يختطف شيئًا . . . » . ولم يذكر الجوهري في « خذرف » ما يؤيد أن « خطرف »

لغة فيه . وفي القاموس « خطرف : أسرع في مشيته أو جعل خطوتين خطوة في

وساعته كتخطرف فيهما » وقال في الخذروف : « وخذرف : أسرع » ،

وروى أبو العيْناء عن الجَمَّاز وغيره أن أبا نُوَاسٍ ألقى على عنان جارية
النَّطَّافَ يَبْتَائُوهُ^(١) .
ذكر أبو الفرج أن عِنَانَ خَرَجَتْ إلى مصر وماتت هُنَاكَ في سنة
ست وعشرين ومائتين .

٤ - غَضِيضُ جَارِيَةِ الإِمَامِ الرَّشِيدِ

وَأُمُّ ابْنَتِهِ حَمْدُونَةُ^(٢) . ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه^(٣)
أن اسمها مُصَفَّى^١ ، روت عن مَظْلُومَةٍ جَارِيَةٍ عَبَّاسِيَّةٍ^(٤) بنت المهدي ،
وكانت حَظِيَّةً عنده ، مقربة لديه ، ماتت في خلافته .

(١) من هنا يتصل الخبر بأخبار « بدعة الكبرى » والأصل « بيتاً وهو هذه
الآبيات . . . » والاختلال ظاهر عليه فقطعنا الخبر . ويظهر أن الكتاب ناقص
لأننا لم نجد البيت الذي ألقاه عليها أبو نواس ولا جوابها عنه .
(٢) ذكرها أبو جعفر الطبري في تاريخه في حوادث سنة « ٢١٠ هـ »
وغيرها « ٣ : ٥٧٧ ، ٧٥٨ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ » . ولها ذكر في تاريخ بغداد
للخطيب البغدادي « ١ : ٩٤ » و « ٣ : ٣٩٢ » ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي
في « دار فرج » منه .

(٣) في تاريخ الطبري « قصف » بكسر الصاد والظاهر أن « مصفى »
تحريف قصف وقال الخطيب البغدادي في تاريخه « ٣ : ٣٩٢ » : « محمد بن
يوسف بن الصباح الغضضي ، كان يتولى حمدونة بنت غضيض أم ولد الرشيد
فنسب إليها . . . مات الغضضي سنة تسع وثلاثين ومائتين » .

(٤) صاحبة القصة الموضوعة المختلقة مع جعفر بن يحيى البرمكي . تزوجها
محمد بن سليمان بن علي العباسي ونقلها إلى البصرة ، وأقطعها المهدي « الشرق »
بالبصرة ، وتوفي عنها محمد فتزوجها محمد بن علي بن داود بن علي العباسي فمات =

٥ - هَيْلَانَةٌ^(١) جارية الرشيد

(ظ ٦)

أخذها من يحيى بن خالد البرمكي ، وكانت بديعة الجمال ، ظاهرة الكمال ، فحُظِيَتْ عنده وأقامت معه ثلاث سنين ثم ماتت ، فَوَجَدَ عليها وجداً شديداً ثم قال يرثيها^(٢) :

=عنها ثم أراد عيسى بن جعفر العباسي أن يخطبها فلم يتم ذلك وإليها نسبت سويقة العباسية ببغداد . « راجع كتاب سيدات البلاط العباسي لمحقق هذا الكتاب » ص ٣٧ « والمحمدون من الشعراء للقفطي » نسخة باريس ٣٣٣٥ الورقة ١٢٢ ، ومحاضرات السيوطي « نسخة مكتبة الأوقاف ببغداد ٢٩٧ الورقة ١٤٧ » . وسويقة العباسية من « معجم البلدان » والمعارف لابن قتيبة « ص ١٦٦ » وعيون الأنباء « ١ : ١٣٦ ، ٢ : ٣٥ » ومقدمة ابن خلدون « ص ٩ » وفتوح البلدان « ص ٣٦١ » ومروج الذهب « ج ٢ ص ٢٨٦ » وأخبار بغداد « ١١٤ » وأخبار الحكماء « ص ١٤٧ » ومعجم الشعراء « ص ٤٤٩ » .

(١) في الأصل « هيلافة » وقد جاء ذكر هيلانة في عدة كتب ، قال ياقوت في « حوض هيلانة » من معجم البلدان : « هيلانة : بفتح الهاء وياء ساكنة وبعد الألف نون وهو اسم قهرمانة المنصور أمير المؤمنين ، وكانت ذات منزلة كبيرة عنده وقيل إنها سميت هيلانة لأنها كانت تكثر من قول (هي الآن) إذا استعجلت أحداً في شيء تأمره به ، وسميت هيلانة لذلك . وحفرت هذا الحوض بالجانب الشرقي وسبَّلَتْهُ فنُسِبَ إليها ، وبباب المحوّل من الجانب الشرقي (كذا والصواب الغربي) إقطاع لهيلانة أقطعها إياه المنصور . وذكر بعضهم أن هيلانة هذه كانت من حظايا الرشيد وأنها حين ماتت حزن عليها كل الحزن حتى امتنع من الأكل والشرب ... إلى آخر القصة . وجزم ياقوت بأنها حظية الرشيد كما جاء في « ربض هيلانة » من معجم البلدان قال : « ربض هيلانة : بين باب الكرخ وباب محوّل ، وهيلانة إحدى حظايا الرشيد » . وقد استمد أكثر ذلك من تاريخ بغداد للخطيب « ١ : ٩٧ ، ٩٨ » . وذكر الشابشتي في الديارات أن « هيلانة كانت جارية الهادي ثم استخصَّها الرشيد » ص ١٤٦ .

(٢) ذكر الخطيب البيهقي في تاريخه « ١ : ٩٨ » .

قد قلتُ لما ضَمَّنوكِ الثرى وجالت الحسرةُ في صَدْرِي :
 « اِذْهَبْ فِلا والله ما سَرَّني بَعْدَكَ شَيْءٌ آخَرَ الدَّهْرِ »
 ورثاها العباس بن الأحنف بأربعين بيتاً^(١) فأمر له الرشيد بأربعين
 ألف درهم لكل بيت ألف درهم ، وكانت وفاتها في سنة ثلاث وسبعين ومائة .

٦ - عَرِيبُ المَأْمُونِيَّةِ^(٢)

قيل إنها ابنة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، لما انتهت دولة البرامكة^(٣)
 سُرِقَتْ وهي صغيرة وبيعت ، فاشتراها الأمين محمد بن الرشيد ثم اشتراها
 أخوه المأمون عبد الله ، وكانت شاعرة مجيدة ، ومُغْنِيَّة مُحْسِنَةٌ . أنبأني

(١) في ديوانه أربعة أبيات منها « ص ٥٩ ، ٦٠ » طبعة الدكتور
 عاتكة وهبي الخزرجي ، وفي معجم البلدان ثلاثة أبيات منها ، ورثاها أيضاً بأربعة
 أبيات أخرى كافية ؛ ذكرها الخطيب ، وجاءت في ديوانه « ص ٢٠٨ » مقولة
 على لسان الرشيد يرثي جارية من غير تصريح باسمها .

(٢) قال شمس الدين الذهبي في « المشتبه في أسماء الرجال » : « وبالضم
 عُرَيْبٌ : مغنية المتوكل لها أخبار » « ص ٣٥٩ » . وفي الجزء الثامن عشر من
 الأغاني شعر يدل على أن العين مفتوحة والراء مكسورة وهو :

لقد ظلموك يا مظلوم لما أقاموك الرقيب على عريب
 ولو أولوك إنصافاً وعدلاً لما أخلوك أنت من الرقيب

وسيرتها في الأغاني « ١٨ : ١٧٥ وما بعدها » ، والديارات « ص ٦٤ ، ٦٥ ،
 ٩٩ ، ١٠٥ » ، ونشوار المحاضرة « ١ : ١٣١ ، ١٣٢ » ، وأخبار بغداد لابن طيفور
 « ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٩ ، ١٧٧ ، ١٧٩ » ، والوزراء والكتاب « ١٥٤ ، ١٥٥ » ،
 ووفيات سنة « ٢٧٧ » من كامل ابن الأثير ، ونهاية الأرب « ٥ : ٩٥ - ١١٢ »
 وأصواتها مبثوثة في أكثر أجزاء كتاب الأغاني . ولها ذكر في كتاب المحاسن
 والأضداد « ص ١٥٢ » . وطبقات الشعراء المنسوب إلى ابن المعتز « ص ٤٢٥ » .

أبو أحمد الأمين^(١) عن ابن ناصر^(٢) قال أخبرنا المبارك بن عبد الجبار الصيتر في أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي أخبرنا عبيد الله بن محمد العكبري حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أبو هاشم حدثنا ميمون بن هارون الكاتب قال حدثني عريب قال :

وَجَّهَ أمير المؤمنين [الرشيد] إلى أهلى - تعنى البرامكة - وقد أوقع بهم، وكانت تزعم أنها بنت جعفر بن يحيى، [مَنْ] يسألهم عن أحوالهم

(١) اسمه عبد الوهاب بن على « راجع ص ٤٤ ج ١ » .

(٢) قال قوام الدين أبو إبراهيم الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهاني الأديب المنشئ المتوفى بدمشق ٦٤٣ وهو مترجم الشاهنامة إلى العربية ، فى كتابه « ذيل تاريخ بغداد » نقلاً من ذيل تاريخها لأبى سعد عبد الكريم بن محمد ابن السمعاني مؤلف الأنساب ، فى ترجمة ابن ناصر هذا : محمد بن ناصر بن محمد بن على بن عمر السَّلامى أبو الفضل ، كان يسكن درب الشاكرية من المحال الشرقية (ببغداد) . حافظ ثقة ، ديتن خير ، مُتَقَن متثبت ، وله حظ كامل من اللغة ومعرفة تامة بالمتون والأسانيد ، كثير الصلاة ، دائم التلاوة ، مواظب على صلاة الضحى ، غير أنه يحب أن يقع فى الناس ويتكلم فى حقهم ، وكان يطالع هذا الكتاب ويلحق على حواشيه بخطه ما يقع له من مثالبهم ، والله سبحانه يغفر لنا وله . . . » وذكر أنه توفى ببغداد سنة « ٥٥٠ » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٦١٥٢ الورقة ٨٤ » . وله ترجمة فى المنتظم لابن الجوزى « ١٠ : ١٦٣ » ومناقب أحمد بن حنبل له « ص ٥٣٠ » وأنساب السمعاني فى « السَّلامى » ، والكامل فى وفيات سنة « ٥٥٠ » ، ومرتآ الزمان لسبط ابن الجوزى « مختصر ج ٨ ص ٢٤٥ » ، ووفيات الأعيان « ٢ : ٦٣ » ، وتذكرة الحفاظ للذهبي « ٤ : ٨١ » ، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ١ : ١٢١ » ، والنجوم الزاهرة « ٥ : ٣٢٠ » والشذرات « ٤ : ١٥٥ » . ومن مروياته ديوان زهير بن أبى سلمى « راجع مقدمته ص ٤٠ ، ٤٢ » .

وأمره أن لا يُعلمهم أنه من قبيلة فصّار إلى الفضل بن يحيى عمّي فسأله وقال له : ما خبركم [و] ما حالكم ؟ فقال :

سألونا أن كيف نحن فقلنا من هوى نجمه فكيف يكون ؟ !
نحن قوم أصابنا عنت الدهر فظلمنا لرئيسه نستكين

وقال < أبو الفضل > أبو بكر الصولي : كانت عريب المأمونية تدعى أنها بنت جعفر بن يحيى بن خالد من امرأة شريفة^(١) ، ولها شعر وصنعة في أشعار كثيرة . وانماها ديوان مفرد . من شعرها ، والصنعة فيه لها :
لا غرّني بعدك إنسان فقد بدت لي منك ألوان
وإن تغيّرت فما حيلتي مالى على قلبك سلطان !

وأنبأني عبد الرحمن بن سعد الله الدقيق^(٢) عن أبي القاسم بن

(١) قال جلال الدين السيوطي في كتابه المحاضرات : « كان في بغداد لا يقال شريف إلا للعباسي » ، ويقال لذرية علي علوي ولا يقال شريف » ، « نسخة مكتبة الأوقاف ببغداد ٢٩٧ الورقة ٦٠ » ونسخة دار الكتب الوطنية ببغداد ٣٤٠٦ الورقة ٦٥ » ، والظاهر أن هذا الاصطلاح تطور في العصر البويهي وما بعده بدلالة وجود الشريف الرضي والشريف المرتضى والشريف ابن الشجري « من ألقاب ورجال العلويين ، وفي العصور الأخيرة لقّب أمراء مكة العلويون بالشريف للواحد منهم وبالشرفاء والأشراف للجماعة .

(٢) جاء في أنساب السمعاني واللباب : « الدقيق : بفتح الدال وكسر القافين بينهما ياء مثناة من تحتها ، هذه النسبة أيضاً إلى الدقيق وبيعه وطحنه . . . » وقولهما أيضاً إشارة إلى « الدقاق » قالا : « الدقاق بفتح الدال المهملة وتشديد القاف وبعدها ألف ثم قاف أخرى ، هذه النسبة إلى الدقيق وعمله وبيعه . . . » وعبد الرحمن هذا عُرِف بثلاثة أنساب « الدقيق والدقاق والطحّان » قال أبو عبد الله =

(٥٨) السمرقندي قال أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد العكبري أخبرنا أبو الحسن محمد بن الصلت أخبرنا أبو الفرج الأصفهاني قال حدثني محمد بن مزيد [بن أبي الأزهر البوشنجي] ويحيى بن علي قالا حدثنا حماد بن إسحق قال : قال لي أبي :

ما رأيتُ امرأة قط أحسنَ وجهاً وأدباً ، وغناءً وضرباً ، وشِعراً
ولعباً بالشطرنج من عريب ، وما تشاء أن تجد خصلة حسنة ظريفة بارعة
من امرأة إلا وجدتُها فيها .

وبه عن أبي الفرج الأصبهاني قال حدثني جحظة قال حدثني علي بن يحيى بن المنجم قال :

خرجت يوماً من حُضرة المَعْتَمِد فِصرت إلى عَرِيب ، فلما قَرُبْتُ
مِنْ دارها أصابني مَطَرٌ بَلَّ ثِيَابِي إلى أنْ وصلتُ إلى دارها ، فلما دَخَلْتُ

= ابن الديبشي في ذيل تاريخ بغداد : « عبد الرحمن بن سعد الله بن المبارك بن بركة
الواسطي الأصل ، البغدادي المولد والدار ، أبو الفضل الطحان ، سمع أبا الفضل
ابن ناصر وأبا المحاسن عبد الملك بن علي الهَمَداني ، وكانت له إجازة من إسماعيل
ابن السمرقندي وعبد الوهاب الأنماطي وأبي منصور بن خيرون وجماعة ، سمعنا منه ،
قرأت على أبي الفضل عبد الرحمن بن سعد الله الدقاق » . وذكر بإسناده حديثاً
ثم قال : « سمعت عبد الرحمن بن الواسطي ، يُسأل عن مولده فقال : في شعبان
سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ببغداد . وتوفي في يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول
سنة خمس عشرة وستمائة ودفن بباب حرب ، « نسخة كمبردج ٢٩٢٤ الورقة ٣٥ »
ولم يعلم المفهرس أنه تاريخ ابن الديبشي ، وقد حققنا ذلك وتأكد لنا . وترجمه الذهبي
في تاريخ الإسلام « نسخة باريس ١٥٨٢ الورقة ٢١٧ ، ٢١٨ » . ووصفه بالطحان
الدقاق ، وزاد على ما نقلنا أن الزكي البرزالي المحدث المشهور روى عنه أيضا .

إليها أمرت بأخذ ثيابي، وأُتيتُ بِخَلْعَةٍ فَلَبِستُها وأُخْضِرْنَا الطَّعامَ فأكلنا، (٨ ظ)
 ودَعَتُ بالنبيد، وأُخْرِجَتُ جَوَازِيها، ثم سأَلَتْنِي عن خبر الخليفة في
 أمس ذلك اليوم وأَيْشٍ^(١) كان صوتُهُ، وعلى مَنْ كان؟ فأخبرتُها أن
 بُنَانًا^(٢) غَنَّاها:

وَذِي كَلَفٍ بِكِي جَزَعًا	وَسَفَرُ الْقَوْمِ مُنْطَلِقُ
بِهِ قَلَقٌ يُمَلِّمُهُ	وَكَانَ وَمَا بِهِ قَلَقُ
جَوَارِحُهُ عَلَى خَطَرٍ	بِنَارِ الشَّوْقِ تَحْتَرِقُ
جُفُونٌ حَشَوُهَا الْأَرْقُ	تَجَافِي ثُمَّ تَنْطَبِقُ

فأمرتُ صاحبًا لها بالمسير إلى بُنَانٍ وإحضاره، فمضى إليه وجاء بُنَانٌ (٩ د)

(١) جاء في المصباح المنير في ش ي ء : « وقالوا أي شيء . ثم خففت
 الياء وحذفت الهمزة تخفيفًا، وجُعِلَا كلمة واحدة . قاله الفارابي . وقال الخفاجي
 في شفاء العليل : « أيش بمعنى أي شيء ، خفف منه ، نَصَّ عليه ابن السيد
 في شرح أدب الكاتب وصرَّحوا بأنه سمع من العرب . وقال بعض الأئمة : جنبونا
 أيش . فذهب إلى أنها مولدة . وقول الشريف في حواشي الرضى : إنها كلمة
 مستعملة بمعنى أي شيء وليست مخففة منها . ليس بشيء . . . وأيش في معنى
 أي شيء كما يقال ويلُمُّه في معنى : ويل لأمه ، على الحذف لكثرة الاستعمال
 » ص ١٥ .

(٢) ضبط الذهبي في المشتبه « بنانا » ضبط القلم بضم الباء وتخفيف النون
 المفتوحة « ٥٣ » وضبط مصححو كتاب الأغاني بدار الكتب المصرية « بنان بن
 عمرو المغني هذا » بفتح الباء وتخفيف النون المفتوحة « ٩ : ٣٠٢ ، ٣٠٥ » ،
 وغيرهما . وفي القاموس « البنان : الأصابع أو أطرافها ومائة وجبل لبنى أسد وموضع
 بنجد . وبالضم موضع واسم جماعة ، فالظاهر أن ضمَّ الباء هو الصواب ، وهكذا
 ورد الاسم في نسخة الأصل .

مَعَهُ ، وَقَدَّمَ إِلَيْهِ طَعَامًا ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ ، وَأَتَى بِعُودٍ فَأَقْرَحَتْ عَلَيْهِ :

أَصَابَ الْوَابِلُ الْغَدِيقُ وصاحَ الزَّجْسُ الْفَرِيقُ

فَهَاتِ الْكَأْسَ مُتَرَعَّةً كَأَنَّ حَبَابَهَا حَدَقُ

تَكَادَ بَنُورُ بَهْجَتِهَا حَوَاشِي الْكَأْسِ تَحْتَرِقُ

فَقَدْ غَنَّى بُنَانُ لَنَا «جَفَوْنَ حَشَوُهَا الْأَرْقُ»

قال علي بن يحيى : فعدَلَ بُنَانٌ بِلَحْنِ الصَّوْتِ إِلَى شِعْرِهَا ، وَغَنَّاها فِيهِ بَقِيَّةَ يَوْمِنَا .

وَبِهِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ قَدَامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ قَالَ :

وَقَعْتُ إِلَى رِقَاعِ لَعْرِبٍ : مَكَاتِبَاتٌ مَنْشُورَةٌ وَمَنْظُومَةٌ ،

فَقَرَأْتُ رُقْعَةً مِنْهَا إِلَى الْمَأْمُونِ وَقَدْ خَرَجَ إِلَى فَمِ الصُّلَحِ^(١)

(١) بلدة كانت على فوهة نهر الصلح المتخلج من نهر دجلة فوق بواسط من الجانب الشرقي ، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « فم الصلح . . . وأما الصلح فما أحسبه إلا مقصوراً من الصلاح بمعنى المصالحة وإلا فهو عجمي أو مرتجل ، وهو نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبَّيل ، عليه عدة قرى ، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون وفيه بنى المأمون ببُوران ، وقد نسب إليه جماعة من الرواة والمحدثين وهو الآن [٦٢٦ هـ] خراب إلا قليلاً » . وقال ابن رسته في الأعلام النفيسة : « . . . فم الصلح وهي مدينة على شرقي دجلة وبها مسجد جامع وأسواق » (ص ١٨٧) ، وقال ابن خلكان في ترجمة بوران « ١ : ١٠١ » : « وفم الصلح بفتح الواو وبغدها ميم وكسر الصاد المهملة وبعد اللام الساكنة حاء مهملة وهي بلدة على دجلة قريبة من واسط ، كذا ذكره السمعاني ، وقال العماد الكاتب في الحريرة : الصلح نهر كبير يأخذ من دجلة بأعلى واسط عليه نواح كثيرة وقد علا النهر وآل أمر تلك المواضع والنواحي إلى الخراب . قلت : والعماد أخبر بذلك =

لِزَفَافِ بُورَانَ^(١) :

إِنْعَمَ تَخَطَّتْكَ صُرُوفُ الرَّدَى بِقُرْبِ بُورَانَ مَدَى الدَّهْرِ
دَرَّةٌ خِذْرٌ لَمْ يَزَلْ نَجْمُهَا بِنَجْمِ مَأْمُونِ الْعَمَلِ يَجْرِي
حَتَّى اسْتَقَرَّ الْمَلِكُ فِي حِجْرِهَا بُورِكَ فِي ذَلِكَ مِنْ حِجْرِ

وَحَدَّثَ عَلِيُّ بْنُ شَاذَانَ الْكَاتِبُ قَالَ قَالَتْ عَرِيبُ جَارِيَةِ الْمَأْمُونِ :

كُنْتُ مَعَ الْوَاتِقِ وَهُوَ يَطُوفُ عَلَى حُجَرِ جَوَارِيهِ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى
الْأَنْبَارِ مَتْنَزِّهَا ، فَدَخَلَ إِلَى فَرِيدَةٍ : جَارِيَةٍ كَانَتْ يُحِبُّهَا جَدًّا ، وَكَانَ يَهْوَى
أَيْضًا وَصِيفَةً لَهَا ، لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ بِذَلِكَ غَيْرِي . فَلَمَّا رَأَتْهُ عِنْدَ مَوْلَاتِهَا
دَخَلَتْ خِزَانَتَهَا وَخَرَجَتْ وَقَامَتْ عَلَى رَأْسِ فَرِيدَةٍ ، وَعَلَى رَأْسِهَا
عِصَابَةٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا بِالذَّهَبِ :

= مِنَ السَّمْعَانِيِّ لِأَنَّهُ أَقَامَ بِوَاسِطٍ زَمَانًا طَوِيلًا ، يَتَوَلَّى بِهَا . وَلَا تَعَارِضُ بَيْنَ
الْقَوْلَيْنِ فَإِنَّ الْخَرَابَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْعِمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ مُضَافٌ إِلَى مَوَاضِعِ نَهْرِ الصَّلْحِ
وَنَوَاحِيهِ لَا إِلَى بَلَدَةِ الصَّلْحِ الرَّائِدَةِ عَلَى النَّهْرِ وَعَلَى دَجَلَةٍ ، فَالسَّمْعَانِيُّ كَمَا جَاءَ فِي
« الصَّلْحِيِّ » مِنْ أَنْسَابِهِ يَقُولُ : « الصَّلْحِيُّ هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى فَمِ الصَّلْحِ وَهِيَ بَلَدَةٌ
عَلَى دَجَلَةٍ بِأَعْلَى وَاسِطٍ بَيْنَهُمَا خَمْسَةُ فَرَاسِخٍ أَقَامْتُ بِهَا سَاعَةً فِي انْصِرَافِي مِنْ وَاسِطٍ
وَالْبَصْرَةِ وَسَمِعْتُ بِهَا الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي السَّعَادَاتِ الْوَاسِطِيِّ . . . » فَالسَّمْعَانِيُّ كَانَ
قَدْ رَأَاهَا وَأَقَامَ بِهَا سَاعَةً . وَقَدْ زَالَتْ الْيَوْمَ وَعَفَا النَّهْرُ وَنَسِيتُ أَسْمَاءَهُمَا .

(١) بُورَانَ وَتَسْمَى أَيْضًا « خَدِيجَةُ » سَتَأْتِي تَرْجُمَتُهَا فِي مَوْضِعِهَا مِنَ الْكِتَابِ
وَقَدْ وَلَدَتْ سَنَةَ ١٩٢ وَتُوفِيَتْ سَنَةَ « ٢٧١ » وَأَخْبَارُهَا ، فِي تَارِيخِ الطَّبْرِى وَمَرْجِ
الذَّهَبِ وَأَخْبَارِ بَغْدَادَ لَا بِنَ طَيْفُورَ وَالْدِيَارَاتِ لِلشَّابِشْتِيِّ وَالْوَفِيَّاتِ لَا بِنَ خُلُكَانَ
وَالنَّجُومِ الزَّاهِرَةِ وَأَنْسَابِ السَّمْعَانِيِّ فِي « الصَّلْحِيِّ » مِنْهُ ، وَالْمُنْتَظَمِ لَا بِنَ الْجُوزَى .
وَكِتَابِي سَيِّدَاتِ الْبِلَاطِ الْعَبَّاسِيِّ « ص ٥٢ » .

عَيْنِي تَبْكِي حَذَرَ الْبَيْنِ مَا أَسْخَنَ الْفُرْقَةَ لِلْعَيْنِ !
 (١٠) لَمْ أَرِ فِي الْحُبِّ وَلَوْعَاتِهِ أَوْجَعَ مِنْ فُرْقَةِ الْفَيْنِ

فقال لي الواصل : فهِمْتِ يَا عَرِيب ؟ قلت : نَعَمْ يَا سِيدِي . فكتب
 على الأرض بقضيب كان في يده :

ظَهَرَ الْهُوَى وَتَهْتَكُ أَسْتَارُهُ وَالْحُبُّ خَيْرُ سَبِيلِهِ إِظْهَارُهُ
 فَاعْصِ الْعَوَازِلَ فِي هَوَاكَ مُجَاهِرًا فَأَلْذُ عَيْشِ الْمُسْتَهَامِ جِهَارُهُ

فحفظتُ الأبياتَ ، وتضاحكنا ، فَفَطَنْتُ فَرِيدَةَ^(١) ، فقالت :
 يا سِيدِي علمتُ ما أَنْتُمْ فِيهِ ، فامْنُنْ عَلَيَّ أَمَّتِكَ بِقَبُولِهَا . فقال الواصل :
 قَدْ فَعَلْتُ ، خُذِيهَا إِلَيْكَ يَا عَرِيب . فَأَخَذْتُ يَدَهَا ، فَمَا مَلَكَ نَفْسَهُ أَنْ
 انصرف من خَلْفِي مُسْرِعًا وَخَلَا بِهَا ، وَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ .

ذَكَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ^(٢) بَنَ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي طَاهِرٍ أَنَّ عَرِيبَ جَارِيَةَ الْمَأْمُونِ

(١) أخبارها في الأغاني « ٤ : ١١٣ - ١١٩ » طبعة دار الكتب المصرية
 ولها أخبار متفرقة في الأجزاء الأخرى ، ولها ترجمة في كتابي سيدات البلاط العباسي
 « ص ٦٤ » ، ولها ذكر في كتاب الديارات للشابشتي « ص ٨ ، ٩٩ » .

(٢) في الجزء الأول من معجم الأدباء « ١ : ١٥٢ » ترجمة والده أبي الفضل
 أحمد بن أبي طاهر طيفور مؤلف كتاب « تاريخ بغداد » في أخبار الخلفاء والأمراء
 وأيامهم ، وقد طبع قسم منه ، والظاهر أن ترجمة عبيد الله هذا فقدت فيما فقد
 من معجم الأدباء ، وقد ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات قال : « عبيد الله بن
 أحمد بن أبي طاهر طيفور أبو الحسين ، توفي سنة ثلاثة عشرة وثلاثمائة ، وكان
 أحق من أبيه ، ومن تصانيفه الذيل على تاريخ أبيه في أخبار بغداد ، كتاب
 السكاج وفضائله ، كتاب المستظرفات والمستظرفين » . « نسخة دار الكتب الوطنية
 بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٩٧ » . وهذه الترجمة منقولة من كتاب الفهرست لابن =

توفيت في شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومائتين . وذكر غيره أن وفاتها كانت بسُرٍّ مَنْ رأى عن ست وتسعين سنة . لأن مولدها في (١٠ ط) سنة إحدى وثمانين ومائة .

٧ - بدعة^(١) الكبيرة جارية غريب

مولاة الإمام المأمون ؛ ذكر أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني أنها كانت أحسن أهل دهرها وجهاً وغناءً ؛ وكانت تقول شعراً ليناً يُستحسن من مثلها . وذكر ثابت^(٢) بن سنان بن قرّة الطيب الصابي

= النديم « ص ٢١ » وفيه كتاب « المتظرفات والمتظرفين » بدلاً من تلك التسمية وفي كتب التاريخ والأدب نقل كثير من كتب عبید الله هذا وكتب أبيه . والظاهر أن المؤلف ابن الساعي نقل في ترجمة « غريب » من كتاب المتظرفين والمتظرفات ، المقدم ذكره . وقال القفطي في الكلام على التاريخ : « وإذا أردت التاريخ متصلاً جميلاً فعليك بكتاب أبي جعفر الطبري - رضي - فإنه من أول العالم إلى سنة تسع وثلاثمائة ، ومتى شئت أن تقرن به كتاب أحمد بن أبي طاهر وولده عبید الله فنعم ما تفعل لأنهما قد بالغاً في ذكر الدولة العباسية وأتيا من شرح الأحوال بما لم يأت به الطبري بمفرده وهما في الانتهاء قريباً المدة ، والطبري أزيد منهما قليلاً » . « أخبار الحكماء ص ٧٧ من طبعة مصر » .

(١) لها أخبار في تاريخ أبي جعفر الطبري « ٣ : ٢٢٩٣ » وصلته لغريب « ص ٢٨ » ، ونشوار المحاضرة « ١ : ١٣٢ » و « ٨ : ٢٠ » ، والديارات « ص ٦٤ » ، « ٩٩ » ، والمنتظم « ٦ : ١٢٩ » ، والكامل في وفيات سنة « ٣٠٢ » . والأغاني « ١٩ : ١٢٥ طبعة ساسي » . وهي غير بدعة الصغرى « نشوار المحاضرة ١ : ٥٠ » .

(٢) أخبار الحكماء للقفطي « ٧٧ ، ٧٨ » وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة « ١ : ٢٢٤ ، ٢٢٥ وغيرهما » . والكامل في حوادث سنة ٣٦٥ =

في تاريخه : أن إسحق بن أيوب الغلابي بذل فيها لعريب مولاتها مائة ألف دينار ، على يدى أبي الحسن على بن يحيى المنجم ، ولِسْفَارَتِهِ في ذلك عشرين ألف دينار ، فلما خاطب على بن يحيى عريب في ذلك (١١) دَعَتْ بدعة وعَرَفَتْهَا إياه وسألتها هل تُحِبُّ وتختار البيع ؟ فعَرَفَتْهَا أَنَّهَا لَا تَخْتَارُهُ ، فَرَدَّتْ المَالَ وأَعْتَقَتْهَا مِنْ وَقْتِهَا .

وَحَدَّثَ أَبُو الفَرَجِ الأصفهاني عن عَرَفة وکیل بدعة قال : لما قَدِمَ المعتضدُ من الشام ومعه وصيفُ الخَلاَمِ (١) دَخَلَتْ إليه بدعة في أول يومٍ جَلَسَ فيه ، فقال لها : يا بدعة أَمَا تَرِينَ الشيب كيف قد

= ووفياتها . والنجوم الزاهرة « ٤ : ١١١ » ووفيات الأعيان في ترجمة ثابت بن قرة « ١ : ١٠٨ » وتاريخ مختصر الدول لابن العبري « ص ٢٧٥ ، ٢٩٦ » وشذرات الذهب « ٣ : ٤٤ » . قال القفطي وهو العالم الأديب : « عمل ثابت هذا كتاب التاريخ المشهور في الآفاق ، الذي ما كتب كتاب في التاريخ أكثر مما كتب ، وهو من سنة نيف وتسعين ومائتين إلى حين وفاته (كذا) في شهور سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وعليه ذيل ابن أخته هلال بن المحسن بن إبراهيم ، ولولاهما لجهل شيء كثير من التاريخ في المدينتين » وذكر بعد ذلك كلاماً نقلناه في « ص ٦٣ في الحاشية » ثم قال بعد ذكره ذيل عبید الله بن أحمد بن أبي طاهر طيفور : « ثم يتلو ذلك كتاب ثابت فإنه يداخل الطبري في بعض السنين ويبلغ إلى بعض سنة ثلاث وستين وثلاثمائة » .

(١) قال السمعاني في الأنساب : « الخادم . . . هذه اللفظة اشتهر بها الحصيان الذين يكونون في دور الملوك وعلى أبوابهم ويختصون بخدمة الولد ، يقال لكل واحد منهم الخادم . . . » . وقد اختصر ابن الأثير كلام السمعاني في لباب الأنساب . ووصيف هذا هو مملوك محمد بن أبي الساج أراد الاستقلال بالبلاد المتاخمة لبلاد الروم كبرذعة وملطية سنة ٢٨٧ هـ . فسار إليه المعتضد وحاربه فأسره في السنة عينها ، وهو غير وصيف التركي المشهور المقتول سنة « ٢٥٣ » . « راجع الكامل في حوادث السنين المذكورتين » .

اشتعل في لِحْيَتِي ورَأْسِي ؟ فقالت له : يا سيدي عَمَّرَكَ اللهُ أبداً حتى
تَرَى وَلَدَكَ وَلَدِكَ قد شَابُوا ، فَأَنْتَ في الشَّيْبِ أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ .
وفكَّرت طويلاً حتى قالت ^(١) هذه الأبيات :

(١١ ظ) ما ضَرَّكَ الشَّيْبُ شَيْئاً بَلْ زِدْتَ فِيهِ جَمَالاً
قد هَذَّبَتْكَ اللَّيَالِي وَزِدْتَ فِيهَا كَمَالاً
فِعِشْ لَنَا فِي سُرُورٍ وَأَنْعَمْ بِعِيشِكَ بِالَا
تَزِيدُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلِيْلَةً إِقْبَالاً
فِي نِعْمَةٍ وَسُرُورٍ وَدَوْلَةٍ تَتَعَالَى

قال : فوصلها ذلك اليوم صلاة سنّية وحمل معها ثياباً كثيرة ،
وطيباً كثيراً .

وحدّث عن عرْفَةِ أيضاً قال :

لما قدم المعتضدُ من حربٍ وَصِيفٍ وجاءَ بِهِ دَخَلَتْ عَلَيْهِ بدْعَةٌ
فقالت : يا سيدي شَيْبَتُكَ وَاللَّهِ هَذِهِ السَّفَرَةُ . فقال : دُونَ ^(٢) ما كنتُ
فيه يُشَيِّبُ . فلما انصرفت قالت هذا الشعر وغنّته :

(١٢ ظ)

(١) ها هنا أقحم الناسخ خبراً من أخبار « عنان جارية الناطقي » وقد شعرنا
بقلقه ومباينته للسياق فألحقناه بترجمتها ، ووصلنا بين طرفي خبر « بدعة » على
النحو الذي تراه ها هنا وهو الأصل الصحيح .

(٢) دُونَ ها هنا اسم يتحمل الابتداء وهو بمعنى « أقل » فمعنى قوله هذا
« أقلُّ ما كنت فيه يُشَيِّب » فدون مبتدأ مرفوع وجملة « يشيب » خبره ،
قال الزمخشري في أساس البلاغة : « وشيء دون : هين » . وقال ابن فارس في =
(٥)

إِنْ تَكُنْ^(١) شَبَبْتَ يَا مَلِيكَ الْبَرَايَا لَأُمُورٍ عَانَيْتَهَا وَخُطُوبِ
 فَلَقَدْ زَادَكَ الْمَشِيبُ جَمَالًا وَالْمَشِيبُ الْبَادِي كَمَالُ الْأَدِيبِ
 فَابْقِ أَضْعَافَ مَا مَضَى لَكَ فِي عِزٍّ وَمُلْكٍ وَخَفَضِ عَيْشٍ وَطِيبِ
 فَطَرِبَ الْمُعْتَصِدُ وَوَصَلَهَا وَخَلَعَ عَلَيْهَا .

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرَانَ الْمَرْزُبَانِي عَنْ الْمُظَفَّرِ بْنِ يَحْيَى الشَّرَافِيِّ عَنْ عَرَفَةَ
 صَاحِبِ بَدْعَةٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعَيْنُهَا رَمِدَةٌ وَهِيَ تَأْكُلُ بِإِذْنِهَا بُورَانِيًّا ،
 قَالَ : فَقُلْتُ لَهَا : أَتَأْكُلِينَ هَذَا وَعَيْنُكَ شَاكِيَةٌ ؟ قَالَتْ : وَإِذَا أَحَبَّ
 الْإِنْسَانُ مِنْ يُؤْذِيهِ يَتْرُكُهَا ؟

ذَكَرَ ثَابِتُ بْنُ سِنَانٍ بْنُ قُرَّةٍ فِي تَارِيخِهِ :
 أَنَّ بَدْعَةَ الْكَبِيرَةِ جَارِيَةً عَرِيبَ تُوْفِيَتْ لِسِتِّ بَقِيْنٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ
 (١٢ ر) سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهَا أَبُو بَكْرُ بْنُ الْمَهْتَدِيِّ بِاللَّهِ .

= الْمُقَابِيْسُ : « وَيَقُولُونَ : أَمْرٌ دُونَ وَثُوبٍ دُونَ أَيِّ قَرِيبٍ الْقِيَمَةُ قَالَ الْقَتَبِيُّ : دَانَ
 يَدُونَ دُونًَا إِذَا ضَعُفَ وَأَدِينُ إِدَانَةٌ ، وَأَنْشَدُوا : « وَعَلَا الرَّبْرَبَ أَزْمٌ لَمْ يُدَنَّ »
 أَيُّ لَمْ يَضْعُفْ ، وَهُوَ عِنْدَهُ مِنَ الشَّيْءِ الدُّونِ أَيُّ الْهَيْنِ ، فَإِنْ كَانَ صَحِيحًا فَقِيَاسُهُ
 مَا ذَكَرْنَاهُ . وَشَوَاهِدُ « دُونَ » بِمَعْنَى « أَقَلُّ » كَمَا ذَكَرْنَا آنَفًا أَوْ « أَقَلُّ مِنْ » تَرَاهَا فِي
 الْإِمْتِنَاعِ وَالْمُؤَانَسَةِ « ١ : ٧ » وَفِي « هَضْمٍ » مِنْ أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ ، وَالْأَغَانِي « ٤ : ٣٤٣ »
 وَتَارِيخُ الطَّبَرِيِّ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ١٢٠ ص ٢٥٠ . وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ « مُخْتَصَرُ ج ٧ ص ١١٦ »
 وَمِصَارِعُ الْعِشَاقِ « ص ٣٠٣ » وَالْمُنْتَظَمُ « ٨ : ٣٣ » وَشَاهِدُهُ هَذَا الْبَيْتُ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا غَنِيًّا فَلَا تَكُنْ بِمَنْزِلَةِ إِلَّا رَضِيْتَ بِدُونِهَا

أَيُّ بِأَقْلٍ مِنْهَا ، وَفِي « كَوْحٍ » مِنَ الصَّحَاحِ « قَالَ الرَّاجِزُ :

أَعَدَدْتَهُ لِلْخَصْمِ ذِي التَّعَدَّى كَوْحَتَهُ مِنْكَ بِدُونَ الْجُهْدِ

أَيُّ بِأَقْلٍ الْجُهْدِ . وَلَهُ شَوَاهِدُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ يَضِيقُ بِبَسْطِهَا الْمَكَانُ .

(١) فِي الْأَصْلِ « إِنْ كُنْتَ » وَهُوَ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ لِأَنَّ الْبَحْرَ هُوَ الْخَفِيفُ .

٨ - بُورَان^(١) بنت الحسن بن سهل

وزير المأمون

ذكر أبو بكر محمد بن يحيى الصُّوْلِي أَنَّ اسْمَهَا خديجة وتعرف ببوران .
 ذكر أبو جعفر بن جرير الطبري أَنَّ المأمون تزوجها في سنة اثنتين ومائتين
 وبني بها في شهر رمضان من سنة عشر ومائتين بِفَمِ الصَّلَاحِ ، فلما دخل
 عليها نثرت عليها جدتها ألف دُرَّةٍ كانت في صينيَّة ذهب . فأمر
 المأمون أن تُجْمَع ، فُجِمِعَتْ كما كانت في الطَّبَقِ ، ووضعها في حِجْرِ
 بُورَان وقال : هذه نَحَلْتُكَ^(٢) واسألي جوائجك . فقالت لها جدتها :
 كلّمي سیدی واسأليه حوائجك فقد أمرك . فسأله الرضا عن إبراهيم^(١٣ظ)
 ابن المهدي ، فقال : قد فعلتُ وسأله الإِذْنَ لأم جعفر [زُبَيْدَة] في
 الحجِّ ، فَأَذِنَ لها ، وألبستها أم جعفر البدنة^(٣) الأُمُوِيَّة . وابتنى بها

(١) تقدم ذكرها في سيرة عريب « ص ٦١ » وذكرنا هناك مطلق ترجمتها .

(٢) قال الجوهري في الصحاح : « ونحلت المرأة مهرها عن طيب نفس
 من غير طلبه أنحلها ، ويقال : من غير أن تأخذ عوضاً . يقال : أعطاه مهرها
 نحلةً بالكسر . وقال أبو عمرو : هي التسمية وهي أن يقول : نحلتك كذا
 وكذا . فيحد الصداق ويبينه » .

(٣) هذا قول أحمد بن أبي طاهر في أخبار بغداد « ص ١١٥ » وقول
 أبي جعفر الطبري بنصه ولم يذكر حقيقة البدنة ، والبدنة قميص لؤلؤ وجوهر وهي
 مأخوذة من البدن وهي الدرع القصيرة .

وقد فصل أمر البدنة الشابشي في الديارات قال في عرس الرشيد وزبيدة :
 « وأعطاها بدنة عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية امرأة هشام ولم يُرفى =

من ليلته . وأُوقِدَ في تلك الليلة شَمْعَةٌ عَنبرَ فيها أربعون مناً في تَوَرَّ ذهب . وأقام المأمون عند الحسن بن سهل سبعة عشر يوماً ، يُعِدُّ له الحسن في كل يوم ولجميع مَنْ معه ما يحتاجون إليه^(١) ، وخلع الحسن على القواد ، على مراتبهم ، وحملهم ووصلهم ، وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم . وأمر المأمون بعد انصرافه أن يُدفع إلى الحسن عشرة آلاف دينار^(٢) من مال فارس ، وأقطعته الصلح ، فحُمِلَتْ إليه على المكان ، وكانت مُعَدَّةً ، فجلس الحسن فقرَّعها في قواده وأصحابه (١٤د) وحشمه وخدمه .

= الإسلام مثلها ومثل الحب الذي كان فيها ، وكان في ظهرها وصدرها خيطان من ياقوت أحمر وباقيها من الدر الكبار الذي ليس مثله . « ص ١٠٠ » وقد ذكر هذه البدنة التجاني في تحفة العروس ومتعة النفوس نقلاً من تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهر المذكور « نسخة مكتبة الأوقاف ببغداد ٣٦٧ الورقة ٢٢ » وجاء ذكرها في كتاب « مطالع البدور في منازل السرور » . « ص ١٢٩ » وللبدنات الجوهر ذكر في المنتظم « ١ : ٢٧ » و« مرآة الزمان » مختصر ج ص ١٢٠ « ونهاية الأرب » ١٤ : ٤١ . وكانت البدنة أيضاً ضرباً من ثياب الخلفاء بمصر « خريدة القصر ، القسم المصري ٢ : ٨٥ » وصبح الأعشى « ٣ : ٤٩٨ » .

(١) قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في الكامل : « وحدثني الحسن ابن رجاء قال : قدم علينا علي بن جبلة إلى عسكر الحسن بن سهل ، والمأمون هناك بانيباً على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببوران ، قال الحسن ونحن إذ ذاك نُجْرَى على نيف وسبعين ألف ملاح ، وكان الحسن بن سهل يسهر مع المأمون وكان المأمون يتصبح ، فيجلس الحسن للناس إلى وقت انتباهه . . . » « طبعة الدبلموني الأزهرى ١ : ٢١٦ » . والمراد الإشارة إلى كثرة الملاحين .

(٢) هكذا ورد ما في النسخة ، وفي أخبار بغداد المقدم ذكره « وأمر المأمون غسان بن عباد عند منصرفه أن يدفع إلى الحسن عشرة آلاف ألف من مال فارس وأقطعته الصلح » . يعنى من الدراهم ، وهذا هو المعقول المقبول .

وذكر أحمد بن الحسن بن سهل قال : كان أهلنا يتحدثون أن الحسن ابن سهل كتب رقاعاً فيها أسماء ضياعه ، ونثرها على القواد وعلى بنى هاشم فمن وقعت في يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها .

وذكر أبو عبد الله الجَهْشِيَارِيُّ أنَّ عبد الواحد بن محمد حدثه عن علي بن سهل بن أبان مولى الحسن بن سهل قال ^(١) : نثر الحسن يوم الإملاك بِنَادِقِ الْعَنْبَرِ ، فاستبرد الناس ذلك ، فأمر بكسرهما واستخراج ما فيها ، ووكل بكلِّ مَنْ التقط رجلاً يوفيه ما في بُندَقته ، فلما كسرت البنادقُ وَجِدَ فيها رِقَاعٌ ، فقبضَ كل من وجد رُقعةً ما فيها من عَقَارٍ أو غيره ، فقال إبراهيم بن العباس :

لِيَهْنَيْكَ أَصْهَارُهُ أَذِلَّتْ بَعِزُّهَا خُدُودُهُ ^(٢) وَجَدَّ عَنْ الْأُنُوفِ الرَّوَاعِمَا
جَمَعَتْ بِهَا الشُّمْلَيْنِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَحُزَّتْ بِهَا لِلِكِسْرَوِيِّ الْمَكَارِمَا
بَنُوكَ بِهَا آلُ انْبِيٍّ وَوَارِثُو ^(٣) السَّخِيفَةِ وَالْحَاذُونَ كِسْرِيَّ وَهَاشِمَا

(١) لم نجد هذا الخبر في المطبوع من كتاب « الوزراء والكتاب » للجَهْشِيَارِيِّ والمطبوع ناقص كما هو معلوم ، وكذلك القول في أخبار نقلت منه في معجم الأدباء « ٥ : ٤٥٦ » و « ٦ : ٨٨ » وفي معجم البلدان مادة « ماذرايا » وبدائع البدائه « ص ٢٧ ، ٨٣ » والتاريخ المجدد لمدينة السلام لابن النجار ، نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق « الورقة ٩٠ ، ١١٤ » . وسيأتي خبر آخر في « ص ٧٠ » .

(٢) في الأصل « جدود » ولا نراه مناسباً للمقام ، لأن الحدود المصعرة هي التي تُذَل .

(٣) في الأصل « وأورثوا » وهو غير موافق للمعنى المراد ، لأن الصولى أراد أن أحفاده المرجوون الولادة من ابنته بوران والمؤمنون بهم من أبناء آل النبي .

وروى الصولي عن عون بن محمد قال حدثني عبد الله بن أبي سهل قال :
لما بنى المأمون على بُوران بنت الحسن بن سهل وانحدر إليهم إلى
ناحية واسط فرش يوم البناء حصير من ذهب مسفوف ونثر عليه جوهر
كثير فجعل بياض الدرّ يُشرق على صفرة الذهب ، وما مسّه أحد ، فوجه
الحسن إلى المأمون « هذا نثارٌ ونحبُّ أنْ يُلقط » . فقال المأمون لمن
(١٥) حوله من بنات الخلفاء : « شرفنْ أبا محمد » . فمدّت كلُّ واحدة منهن
يدها فأخذت دُرّةً ، وبقيَ باقي الدرّ يلوح على الحصير الذهب . فقال
المأمون : قاتل الله أبا نواس ، لقد شبهَ بشيء ما رآه قطّ ، فأحسن في
وصف الحمر والحباب الذي فوقها فقال :

كَانَ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَقَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
فكيف لو رآه مُعَايِنَةً ؟ وكان أبو نواس في هذا الوقت قد مات .
وحدث أبو علي الكوكبي قال : حدثني أبو الفضل الرّبعي عن
أبيه قال :

لما تزوّج المأمون بوران ابنة الحسن بن سهل أراد أن يفتّخها فلما
كاد حاضتُ فقالت : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾^(١) ففهم المأمون
(١٥ ظ) قولها ، فوثبَ عنها .

ذكر الجهشياري^(٢) أن أبا عبد الله بن حمدون ذكر أن بوران

(١) سورة النحل ، الآية « ١ » .

(٢) لم نجد كذلك هذا الخبر في المطبوع من كتاب الوزراء والكتاب

للجهشياري المذكور وما أكثر المفقود منه !!

بنت الحسن قالت ترثي المأمون :

أَسْعِدَانِي عَلَى الْبُكَاءِ مُقْلَتِيًّا صِرْتُ بَعْدَ الْإِمَامِ لِلْهَمِّ فَيًّا
كُنْتُ أَطْوَى عَلَى الزَّمَانِ فَلَمَّا مَاتَ صَارَ الزَّمَانُ يَسْطُو عَلَيَّا

ذكر هلال بن المحسن الكاتب أن بوران بنت الحسن بن سهل
وُلدت ليلة الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائة .
وذكر عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر أن بوران توفيت يوم الثلاثاء
لثلاث بَقِيَرٍ من شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومائتين ، وقد
بلغت من السن ثمانين سنة . قلت : وكانت وفاتها ببغداد لأنها كانت
تسكن بالقصر الحسنى المنسوب إلى أبيها الحسن بن سهل ، وهذا القصر (١٦) ^(١)
كان أولاً يُسمى القصر الجعفرى نسبة إلى جعفر بن يحيى بن خالد
البرمكى ، وهو أول بناء وضع في قديم الزمان بمدينة السلام ^(١) . أخبرني

(١) لعل المؤلف أراد : أول بناء وضع في شرقي بغداد الذي عرف بدار
الخلافة العباسية الأخيرة ، قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد : « ذكر دار
الخلافة والقصر الحسنى والتاج : حدثني أبو الحسين هلال بن المحسن قال : كانت
دار الخلافة التي على شاطئ دجلة تحت نهر مُعَلَّى قديماً للحسن بن سهل وتسمى
القصر الحسنى ، فلما توفى صارت لبوران بنته فاستنزلها المعتضد بالله عنها . . . »
« ١ : ٩٩ » وقال في - ص ٩٨ - : « . . . وأما شاطئ دجلة من الجانب
الشرقي فأوله بناء الحسن بن سهل وهو قصر الخليفة في هذا الوقت » . وورد قريب
من ذلك في مختصر مناقب بغداد « ص ١٥ » وجاء فيه « واستنزلها عنها المعتضد
وقيل المعتمد » والصحيح أنه المعتمد لأنها لم تعش إلى خلافة المعتضد وأولها سنة
« ٢٧٩ هـ » ولأن المعتمد هو الذي نقل قرار الخلافة من سامرا إلى بغداد .

أبو القاسم علي^(١) بن عبد الرحمن بن علي إذنا عن أبي محمد^(٢) عبد الله ابن الخشاب النحوي قال حدثنا أبو القاسم الربيعي أخبرنا أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي أخبرنا أبو علي الأزدي حدثنا أبو جزي^(٣) قال حدثنا أبو العيناء قال^(٤) :

كان جعفر بن يحيى البرمكي شديد الشغف بالإخوان ، كثير المحبة للقيان ، قد أعطى اللذات قيادته ، وجعل مواسم القصف واللهو أعياده ،

(١) قال ابن الديبشي في تاريخه : « علي بن عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن علي بن الجوزي أبو القاسم بن شيخنا أبي الفرج بن أبي الحسن الواعظ سمع فادة أبيه في صباه وبمنفسه من جماعة . . . وتكلم في الوعظ ثم تركه ، سمعنا منه . . . سمعت أبا القاسم بن الجوزي يقول : مولدي في شوال سنة إحدى وخمسين وخمسمائة . » نسخة كبريج ٢٩٢٤ الورقة ١٤٤ « وتوفي سنة « ٦٣٠ » كما في التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية ، ج ١ ص ١٣٤ « وكما في البداية والنهاية في حوادث هذه السنة وكما في الشذرات « ٥ : ١٣٧ » .

(٢) في الأصل « عن محمد بن عبد الله بن الخشاب » وذلك خطأ ، وهو النحوي الأديب المشهور ، توفي سنة « ٥٦٧ » كما في المنتظم وخريدة القصر للعماد الأصفهاني ومعجم الأدباء ومرآة الزمان والكمال وإنباه الرواة للقفطي والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ووفيات الأعيان وتاريخ أبي الفداء وتاريخ اليافعي وذيل طبقات الحنابلة والنجوم الزاهرة وبغية الوعاة والشذرات .

(٣) كذا ورد في الأصل وفيه نقصان أو تصحيف .

(٤) ذكر ياقوت الحموي في مادة « التاج » من معجم البلدان شبيهاً بهذا الخبر من غير إسناد ، وكان القصر الحسنی والتاج وقصور دار الخلافة الأخرى ومرافقها في الشارع المعروف اليوم بشارع المستنصر بالله في بغداد الشرقية وقبل ذلك عرف بشارع النهر أي نهر دجلة ، ولم يبق أثر من كل ذلك ولا طلل لاستهداف تلك الأبنية للرطوبة والغرق ولكون أكثرها مبنياً بالآجر أي الطوب .

وكثر ذلك منه ، واشتهر عنه ، وتكلم الأعداء فيه بسببه ، فخلا به
 والده ، وأنكر عليه فعله وقال له : إذا لم تكن لك قدرة على الاستتار في (١٦)
 لهوك وشربك ، والكتم لمجالس أنسك ولعبك ، فاتخذ لنفسك قصرًا
 بالجانب الشرقي ، تجمع فيه ندماءك وقيانك ، وتقطع معهم زمانك ،
 وتبعد عن أعين العامة ، وتخفي أمورك على أكثر الخاصة ، ويقل القول
 فيك ، وينقطع الكلام عنك ، ويكون أصلح لشأنك عند سلطانك .
 فعمد جعفر إلى الجانب الشرقي واتخذ به قصرًا شديد بناءه ، وأوسع
 فناءه وفضاءه ، واتخذ فيه بستانًا ذا رياض مخصصة مريضة ، وغرس به
 من أنواع الشجر ما يُثمر بكل ثمرة بديعة ، وبالغ في إتقان الأموال ،
 وجمع الصُّنَّاع والرجال ، فلما قارب الفراغ من بنائه ، صار إليه ومعه (١٧)
 أصحابه ، وفيهم مؤنس بن عمران ، وكان عاقلًا لبيبًا كاملاً ، فطاف به
 واستحسنه ، وقال من حضر من أصحابه في ذلك فأكثروا القول ،
 ومؤنس ساكت ، فقال له جعفر : مالك لا تتكلم ؟ قال : في ماذا ؟
 قال : فيما قال أصحابنا . قال : كفاي قولهم ولا زيادة فيه . وكان جعفر
 ذكيًا ، فعلم أن تحت قول مؤنس معنى ، فقال : وأنت أيضًا فقل .
 قال : هو ما قالوا . قال : أقسمت عليك لتقولن . فقال له : إذ أُيِّتَ
 إلا أن أقول فتصبر على الحق ؟ قال : نعم قال : أريدُ خلوة . فلما
 خلا به قال : أطيل فيما أقول : أو أختصر ؟ قال : بل أختصر .
 قال أسألك إن خرجت الساعة فمررت بدار لبعض أصحابك تشبه دارك

(١٧ظ) هذه أو تقاربها ما كنت صانعاً أو قائلاً؟ قال: قد فهمتُ فما الرأي؟

قال: هو رأي إن أخرته عن ساعتك هذه فات. قال: وما هو؟ قال:

لست أشك في أن أمير المؤمنين قد طلبك وسأل عن خبرك فخبّر أنك

قد ركبت إلى قصرك فضجّر من تأخرّك، فأطل اللبث ها هنا ثم امض

إليه من فورّك، وعليك أثرُ الغبار، فإذا سألك عن حالك فقل:

صرتُ إلى القصر الذي بنيته للمأمون. ثم أتبع ذلك من القول بما

أنت أعلم به. قال: وكان جعفر قد اتخذ في هذا القصر ثلاثمائة وستين

مرقفاً ما بين مجلس ومستشرف وحجرة وخيش وخزانة، وكتب إلى

كل ناحية بأن يتخذ لكل مقصورة فرش على مقادير أبنيتها. وكان

(١٨ظ) القول قد كثر جداً في ذلك البناء وما كتّب في استعماله من الفرش له،

فأقام جعفر في القصر هنيئاً ثم مضى من فوره فدخل على الرشيد فسأله

عن خبره ومن أين جاء؟ قال: كنت في القصر الذي اتخذته لمولاي

المأمون بالجانب الشرقي على دجلة. فقال له الرشيد: أو للمأمون بنيته؟

فقال: نعم فإنك يا أمير المؤمنين في ليلة ولادته شرفّتنى بأن جعلته في

حجرى قبل جعله في حجرّك واستخدمتنى له وعرفتُ محله من قلبك

فدعاني ذلك إلى أن اتخذتُ له هذا القصر بالجانب الشرقي، في موضع

معتدل الهواء، طيب الهواء، ما بين رياض زاهرة، ومياه جارية، بعيداً

من أصوات الناس والدخاخين المؤذية، والروائح المنتنة، ليسكنه

(١٨ظ) حواضنه وداياته، وجواريه وقهرماناته، فيصبح بذلك مزاجه، ويتم

نشوؤه ، ويصفو ذهنه ، ويذكو قلبه ، وينمو لبه ، ويضيء فهمه ،
ويحسن لونه ، ويزيد جسمه ، ومع ذلك فإنني قد كتبتُ إلى النواحي
جميعاً في اتخاذ فرشٍ لهذا البناء على مقاديره ، وبقي شيء لم يتهيأ اتخاذه
إلى الآن ، وقد عوّلنا على خزائن أمير المؤمنين ، إمّا عاريةً أو هبة .
قال : بل هبة . وأسفر إليه ، وأقبل وجهه عليه ، وقال : أبا [الله]
أن يُقال عنك إلا ما هو لك ، وأن يُطعن فيك ، إلا بما يرفعك
ويُعليك ، والله لا سَكَنه أحد سِوَاكَ ولا تُمَمَّ ما يُعَوِّزُه من المفارش
إلا من خزائننا وزال من نفس الرشيد بتلك الفعلة ما كان حَمَل عليه
من السعيات ، وظفر بالقصر وانقطعت الأقاويل عنه ، ولم يزل جعفر
يتردد إليه في كلِّ أوقات أفراحه ؛ وتنزهه ومراحه ، إلى حين (١٩)
واقعتهم ، وانقضاء دولتهم ، وإلى حينئذٍ كان يسمى القصر الجعفرى .

ذكر انتقال هذا القصر وكيف صار إلى المأمون

وما أضاف إليه من الأبنية

ذكر بعضهم أنَّ هذا القصر صار إلى المأمون ، وكان من أكمل
القصور وأبهاها ، وأحب المواضع إليه وأشهاها ، لإطلاله على دجلة وكماه
في النظر ، واشتماله بالروض والشجر ، واكتسائه بالنور المشرق النائر ،
والزهر المونق الزاهر ؛ فنزل بساحته ، وحلَّ به حُبِّي راحته ، وجرَّ على
رياضه ذبوله ، وطارَدَ في مَيدان سروره خيوله ، ملتذّاً بسُكناه ، معتدّاً

بهواه ، وصار منزل صيده وقنصيه ، ومحلّ نزهه وفرصه ، واقتطع جملة
 (١٩ ظ) من البرية ، فعمّلت ميداناً لركض الغلمان ، واللّعب بالكرة والصولجان ،
 وحيراً^(١) لجمع الوحوش في أوقات تصييده ، وفتح له باباً شرقياً إلى جانب
 البرّ ، واتخذ على أعلاه منظره تشرف على مرام واسعة لمن عساه يصل
 من طريق خراسان^(٢) ، ونواحي هذان وأذربيجان . وأجرى على ذلك
 الباب نهراً ساقه من نهر المعلي ، وابتنى عليه وقريباً منه منازل برسم خاصته
 وأصحابه وحاشيته سُميت المأمونية^(٣) وهي الآن محلة الشارع^(٤) الأعظم
 فيما بين عقدي المصطنع^(٥) والزرايين^(٦) .

-
- (١) الخيّر عند القدماء هو ما يسمى اليوم « حديقة الحيوانات » .
 (٢) طريق خراسان في جغرافية العراق القديمة ، هي الكورة الشرقية من
 وسط العراق ومنها حلوان وبعقوبا والبندبنجين وخانقين وقصر شيرين وقصر قضاة
 ودسكرة الملك وشهرابان ، وبوهرز وبرازالروز وغيرها ، وتسمى اليوم « ليواء ديالى »
 ولم يبق من التسمية إلا نهر خريسان وهو نهر بعقوبا المعروف قديماً بنهر جلولا .
 (٣) قال ياقوت في معجم البلدان : « المأمونية : منسوبة إلى المأمون أمير المؤمنين
 عبد الله بن هارون الرشيد وقد ذكرت سبب استحداث هذه المحلة في (التاج)
 والقصر الحسنى ، وهي محلة كبيرة طويلة عريضة ببغداد بين نهر المعلي وباب الأزج
 عامرة آهلة » . قلت المأمونية كانت في أرض المحلات : الدهانة والهيثاوين وعقد
 القشل والسريدان وصباييع الآل الحالية من بغداد الشرقية الحالية .
 (٤) هو الشارع الكبير الذى يطرّ الجانب الشرقى ويعرف اليوم بعقد القشل .
 (٥) عقد المصطنع ذكره ياقوت الحموى في الكلام على « قراح » من معجم
 البلدان قال : « . . . وذلك أنك تخرج من رجة جامع القصر مشرقاً حتى
 تتجاوز عقد المصطنع وهو باب عظيم في وسط المدينة فهناك طريقان أحدهما
 يأخذ ذات اليمين إلى ناحية المأمونية وباب الأزج والآخر يأخذ ذات الشمال . . . » =

ذكر انتقال هذا القصر إلى الحسن بن سهل
واشتهاره به وما زاد فيه من الأبنية

كان المأمون بخراسان مع والده ، فلما توفي والده هناك بويع المأمون (٢٠٠)
بخراسان وبويع أخوه الأمين ببغداد . وجرت القاتن العظيمة إلى أن قُتل
الأمين — رحمة الله عليه — .

فلما وصل البريد بخبر قتله إلى المأمون أرسل الحسن بن سهل خليفة له
على العراق ، لتدبير الأمور بها ، فورها بعد انقضاء فتنة الأمين في سنة
ثمان وتسعين ومائة ونزل القصر المأموني المذكور ، وتزوج المأمون

= والمصطنع الذي أضيف إليه العقد هو أبو نصر منصور بن طاس الديلمي ثم
البغدادى الحاجب ، استحجبه الخليفة القادر بالله ولقبه المصطنع في ذى الحجة
سنة « ٤١٠ » وخلع عليه السيف والمنطقة والسوار . وكان من أرباب المروآت
الظاهرة ، جميل المنظر ، حسن المحضر ، محباً لقضاء الحوائج ، بقى في الحجابة
إلى عهد الخليفة القائم بأمر الله ، وكان قد عمر داراً عند العقد المذكور ، وتوفي
في جمادى الآخرة سنة « ٤٣٤ » . « تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطى ج ٥
الترجمة ٤ و ١١ » . ويعرف موضع العقد اليوم بقاضى الحاجات ، فلعل قضاءه
للحاجات أبقى له هذا الاسم الكريم .

(٦) في الأصل « الرزازين » جمع الرزاز بائع الأرز وهو تصحيف
« الزرادين » أى باعة الزرديات لنوع من الدروع أو الزرد وهو الدرع المزروعة
يتداخل بعضها في بعض ، والتصحيح من معجم البلدان ، والمنتظم « ١٠ : ٢٢٩ »
وكتاب الحوادث الذى سميناه الحوادث الجامعة « ص ٢٠٥ » ومنتخب المختار من
ذيل تاريخ ابن النجار لتقى الدين القاسى « ص ٢٠٩ » . واشتهرت مقبرة الزرادين
في التاريخ وهى اليوم محلة سراج الدين بشرقى بغداد

بُورَان بنت الحسن بن سهل عمرو بولاية عمّتها الفضل بن سهل . فلما قدم
المأمون من خراسان في يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر من سنة
أربع ومائتين دخل إلى قصر الخلافة بالخلد بالجانب الغربي فسكنه ، وبقى
الحسن بن سهل مقياً بالقصر المأموني إلى أن تمَّ عرس بوران بفهم الصلح (٢٠)
ونُقلت إلى بغداد وأُنزلت بالقصر ، وطلبه الحسن من المأمون فكتبه
له ، ومُد ذلك الوقت أضاف إليه ما حوله ، وغلب اسم الحسن عليه ،
وعُرف به ونسب إليه . ذكر أحمد بن أبي طاهر في كتاب بغداد قال
حدثني بعض مشايخنا قال : لما بنى الحسن بن سهل قصره هذا جعل بين
سوره وبين شط^(١) دجلة فضاءً كثيراً ، فقليل له : لو جعلته ركباً على
دجلة كان أحسن . فقال : ما أنا والنزهة والإشراف إلى دجلة ؟ إنما
يفعل هذا أهل الفراغ والبطالة ونحن عن النزهة في شغل . ثم ابتاع
الموفق بالله هذا القصر ونزله ثم هدمه المعتضد بن الموفق وبناه وزاد فيه
(٢١) ومدّه إلى حدّ نهر بين ، ونزله المكتفى .

(١) في الأصل « وسط » وهو من تحريف النساخ ونظن أن الأصل « بين »
سوره وشط دجلة « فزاد الناسخ « بين » وصارت « وشط » بذلك وسطاً .

مُونِسَةُ^(١) المأمونية

جارية رومية ، كانت حَظِيَّةً عند المأمون ، مقربة إليه وكانت
تعتنى بأحمد^(٢) بن يوسف وزير المأمون ، وكان هو يقومُ بخدمتها
وحوائجها ، فأدَّتْ على المأمون في بعض الأمور فأنكر عليها وصارَ
إلى الشَّماسِيَّة^(٣) ولم يحملها معه ، فاستحضرت نُصْرَةَ خادم أحمد بن

(١) أخبار بغداد لأحمد بن أبي طاهر « ص ١٢٩ ، ١٣٠ » والأوراق
للصولي « ١ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ » والأغاني « ٧ : ٣٤ ، ٢٠ : ٥٧ طبعة ساسي .
(٢) سيرته في كتاب الأوراق للصولي « ١ : ٢٠٦ - ٢٣٦ » ومعجم الأدباء
« ٢ : ١٦٠ - ١٧١ » وأخبار بغداد « ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٦٤ ، ١٧٩ ، ١٨٠ » وتاريخ بغداد للخطيب « ٥١ : ٢١٦ -
٢١٨ » والبيان والتبيين « ١ : ٦٥ ، ٢ : ٣٣٠ ، ٣ : ٢٥٠ » . والتاريخ الفخري
لصفي الدين بن الطقطقي « ص ١٦٩ من طبعة مصر » والأغاني « ٣ : ١٥٩ ،
٩ : ٥٨ ، ١٢ : ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣ : ٣٠ ، ١٤ : ٤٣ ، ١١٦ ، ٢٠ : ٥٦ ،
٥٨ ، ١١٤ ، ١١٥ » . والوزراء والكتاب للجهمي « ٢٤٩ » وديوان المعاني
لأبي هلال العسكري « ١ : ٩٥ » . وتلخيص معجم الألقاب في ترجمة « قطب الدين
عبد الله بن الحسن الوكيل » . والديارات « ص ٢٩ » وهو غير أحمد بن يوسف
المعروف بابن الداية .

(٣) قال ياقوت في معجم البلدان « الشماسية : بفتح أوله وتشديد ثانيه
ثم سين مهملة منسوبة إلى بعض شماسي النصارى وهي مجاورة لدار الروم في أعلى
مدينة بغداد وإليها يسبب باب الشماسية ، وفيها كانت دار معز الدولة أبي الحسين
أحمد بن بويه وفرغ منها سنة (٣٥٠) وبلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف ألف
درهم ، ومسنتها باق أثرها ، وبقى الحلة كله صحراء موحشة يتخطف فيها اللصوص
ثياب الناس وهي أعلى من الرصافة ومحلة أبي حنيفة » . قلت : محلة الرصافة تسمى
اليوم هيبة خاتون والنصة والسفينة . ومحلة أبي حنيفة هي مركز الأعظمية الحالية ،
ودار الروم والشماسية هما اليوم محلة الصليخ شمالي الأعظمية .

يوسف وحملتته رسالة إلى مولاه بخبرها ، وسألته التلطف في إصلاح
نية المأمون لها . فلما عرّفه الخادم ذلك دعا بدوابه وقصد الشامية
فاستأذن على المأمون ، فلما وصل إليه قال : أنا رسول قال : فأذن لي في
(٢١١) تأدية الرسالة . فأنشدته هذه الأبيات وهي :

قد كان عتبك مرةً مكتوماً فاليوم أصبح ظاهراً معلوماً
نال الأعادي سؤلهم لا هتّوا لما رأونا ظاعناً ومُقيماً
هَبْنِي أَسَاتُ فَعَادَةً لَكَ أَنْ تُرَى متجاوزاً متفضلاً مظلوماً

قال : قد فهمتُ الرسالة فكن الرسول بالرضا . ووجهه يباسر
الخادم فحملها .

قُرّة العين مولاة المعتصم

جارية مولدة ، كانت حظيةً عند الإمام المعتصم بالله - رضى الله عنه -
وروى عنها القاضي أبو بكر أحمد^(١) بن كامل بن خلف بن شجرة ،

(١) ولد القاضي أبو بكر هذا ببغداد سنة « ٢٦٠ هـ » وسمع الحديث وقرأ
الفقه وكان جريرى المذهب أغنى من أصحاب ابن جرير الطبرى كالغافى بن
زكريا النهروانى وقيل خالفه واختار لنفسه مذهباً ، وكان عالماً بالأحكام وعلوم
القرآن والنحو والشعر وأيام الناس وتواريخ أصحاب الحديث والسير ، وأملى كتاباً
فى السير وروى تاريخ الطبرى عن مؤلفه ، وله مصنفات فى أكثر تلك الفنون الإسلامية
ومنها كتاب التاريخ . وتولى القضاء بالكوفة ، روى عن الدارقطنى وغيره ونقل من
كتبه المؤرخون كالخطيب وغيره ، وكان يعتمد على ذاكرته أحياناً فى التحديث
توفى سنة « ٣٥٠ » ، تاريخ بغداد للخطيب « ٤ : ٣٥٧ » وفهرست ابن النديم
« ص ٤٨ » ومعجم الأدباء ، « ص ١٦ - ١٩ » والكامل فى حوادث سنة « ٣٥٠ » =

وكانت أدبية ، أنبأنا أبو محمد الجنائدي^(١) عن أبي بكر الحنبل قال
 أخبرنا أبو غالب الكرخي إذنا عن عبيد الله بن أحمد الأزهرى قال
 حدثنا إبراهيم بن محمد قال حدثنا أحمد بن كامل قال أنشدتنا قرة
 العين المعتصمية :

(٢٢)

أَنْظُرْ إِلَى بَعِينِ الصَّفْحِ عَنْ زَلِّي لَا تَتْرُكْنِي مِنْ أَمْرِي عَلَى وَجَلِ
 رُوحِي وَرُوحُكَ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ فَكَيْفَ أَهْجُرُ مَنْ فِي هَجْرِهِ أَجَلِي؟

فريدة^(٢) الأمينية

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى^(٣) هي فريدة (بالياء) وهما
 جارتان مغنيتان كبيرى وصغرى فأما الكبرى فهذه وكانت جارية

=ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني « ١ : ٢٤٩ » وبغية الوعاة « ص ١٥٣ » ،
 والشذرات « ٣ : ٢ » ونقل من تاريخه فى النجوم الزاهرة « ٣ : ٢٨٨ » طبعة دار
 الكتب المصرية « ولم يعلق عليه أحد بكلمة تعرفه . وابنته أمة السلام كانت محدثة
 » تاريخ بغداد ١٤ : ٤٤٣ .

(١) منسوب إلى « جنابذ » قال ياقوت فى معجم البلدان : « جنابذ بالضم
 وبعد الألف باء موحدة مكسورة وذال معجمة فاحية من نواحى نيسابور . . . »
 وأبو محمد هذا هو عبد العزيز بن محمود بن المبارك المعروف بابن الأخضر ، ولد
 سنة ٥٢٤ ببغداد وتوفى بها سنة « ٦١١ » وكان محدثاً كبيراً ومؤلفاً شهيراً ، سمع
 منه ياقوت الحموى وابن النجار وابن الديبى وغيرهم من المؤرخين ومن سواهم . ذكره
 ياقوت فى « جنابذ » من معجم البلدان ، وله ترجمة فى تاريخ ابن الديبى والتكملة
 للمندرى والكامل وذيل الروضتين وتذكرة الحفاظ للذهبي وتاريخ الإسلام له وذيل
 طبقات الحنابلة والنجوم الزاهرة والشذرات وغيرها .

(٢) الأغانى « ٣ : ١٠٢ ، ١١٣ » .

(٣) الظاهر أن المؤلف أخذ هذا القول مما ذكره أبو الفرج الأصفهاني فى =

مولدة ، نشأت بالحجاز ثم وقعت إلى الربيع بن يونس حاجب الرشيد فتعلمت الغناء في داره ثم صارت إلى البرامكة ، فلما قُتل جعفر بن يحيى البرمكي ونُكِبَ البرامكة هربت فريدة المذكورة فلم يُعلم خبرها ، وطلبها الرشيد فلم يجدها ثم صارت إلى الأمين بعد موت الرشيد ، فكانت عنده إلى أن قُتل في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ، ثم خرجت فتزوجها الهيثم بن بسام^(١) ، فولدت له ابنه عبد الله ثم مات عنها فتزوجها السّندي^(٢) بن الحرشي فماتت عنده .

إسحق^(٣) الأندلسية

جارية مولدة ، كانت للمتوكل ، حظية عنده ، فولدت له المؤيد إبراهيم والموفق أبا أحمد ، قال عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر : في سنة سبعين ومائتين ماتت إسحاق أم الموفق بمدينة السلام ، لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة ودفنت بالرصافة ، فقال أبو أحمد يحيى^(٤) بن علي بن يحيى المنجّم يُعزّي الموفق بأُمّه :

= أخبار أبي العتاهية « ٤ : ١٠٢ » فإنه ذكر أبياتاً لأبي العتاهية تغني ، وقال : « وفيه — يعني الشعر — لحن لفريدة ، رمل . هكذا قال الصولي فريدة بالياء ، وغيره يقول فرندة بالنون » .

(١) في نسخ من الأغاني « سلم » وفي نسختين أخريين « مسلم » .

(٢) الطبري « ٣ : ٦٨٠ ، ٧٣٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ » .

(٣) ذكرها الطبري في حادثة قتل ابنها إبراهيم المؤيد في السجن سنة « ٢٥٢ » .

(٤) هو الأديب الشاعر المشهور ولد سنة « ٢٤١ » وتوفي سنة « ٣٠٠ » =

عَزَاءٌ فَإِنَّ الدَّهْرَ يُعْطَى وَيَسْتَلْبُ ۖ وَصَبْرًا فَلِلدُّنْيَا صُرُوفٌ تَقْلَبُ ۖ
 وَمَا جَارِعَ إِلَّا كَأَخْرَ صَابِرٍ ۖ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِمَّا قَضَى اللَّهُ مَهْرَبُ (٢٣)
 عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ الْقَلْبُ لَوْعَةً الْفِرَاقِ كَمَا لَا تَمْلِكُ الْعَيْنُ تَسْكُبُ ۖ
 إِذَا كَانَ سَهْمُ الْمَوْتِ لَا بُدَّ صَائِبًا ۖ فَلِلصَّبْرِ أُولَى بِالْكَرِيمِ وَأَصُوبُ
 لَقَدْ جَدَّتْ الدُّنْيَا بِنَفْيِ بَقَائِهَا ۖ إِلَيْنَا وَلَكِنَّا نَغْرُ ۖ وَنَلْعَبُ
 وَتُخْرِبُ دَارًا لِلْعِمَارَةِ خَلْفَهَا (١) ۖ وَتَعْمُرُ دَارًا سَوْفَ لَا بُدَّ تَخْرِبُ ۖ
 فَلَا يَقْدَحُنْ فِي عُظْمِ صَبْرِكَ عُظْمُ مَا ۖ رُزِئَتْ فَصَدَعَ الْحَزْنَ بِالصَّبْرِ يُشْعَبُ
 فَمَا النَّاسُ إِلَّا اثْنَانِ مَعْقُورُ نَكْبَةٍ ۖ قَدْ انْصَرَمَتْ أَوْ سَالِمٌ سَوْفَ يُنْكَبُ
 فَلَا زَالَ قَصْرٌ ۖ بِالرِّصَافَةِ عَامِرًا ۖ يُسْقَى بِهِ ذَيْلُ السَّحَابَةِ يُسْحَبُ
 وَخُصَّ بِتَقْدِيسٍ مِنَ اللَّهِ وَاجِبٍ ۖ يُغَادِيهِ مِنْهُ مِثْلُ مَا يَتَأَوَّبُ
 فَإِنَّ بِهِ تَقْوَى ۖ وَفَضْلًا مُبَرِّزًا ۖ وَإِخْلَاصَ صَدَقِ زَاهِنٍ التَّهْدُبُ (٢٣ ط)
 لَقَدْ أَظْلَمَتْ بَغْدَادُ عِنْدَ وَفَاتِهَا ۖ كَأِظْلَامِهَا لِلشَّمْسِ سَاعَةَ تَغْرُبُ
 فَوَلَّتْ وَوَلَّى الْحَمْدُ يَتْبَعُ نَعَشَهَا ۖ وَيَصْدُقُ مِنْ يُثْنِي عَلَيْهَا وَيَنْدُبُ

= «معجم الشعراء للمرزباني ٤٦١، ٥٠٢، ٥٠٦» وتاريخ بغداد للخطيب «١٤ : ٢٣٠» والأنساب في «المنجم» ومروج الذهب للمسعودي ومعجم الأدباء «مختصر الجزء السابع ص ٢٨٧» والوفيات «٢ : ٣٧٨» والأغاني «٨ : ٢٦ : ٩٠ : ٣٤» ١٨ : ١٧٦ «وعيون الأنباء» ١ : ٢١٧ . وله كتاب الباهر في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين، ابتداء فيه بيشار بن برد، وآخر من أثبت فيه مروان بن أبي حفصة ولم يتممه فأنتم ابنه أبو الحسن أحمد بن يحيى، وله أيضا كتاب النغم وقد طبعه المجمع العلمي العراقي .

(١) هذا ما ورد في الأصل ويتسق المعنى بأن جعل الدنيا سائرة غير لاثثة فتكون الدار التي أخربتها خلفها لأن لكل سائر خلفاً .

وما مات من أبقى الأميرَ ومن له من الفضل ما يُعزى إليها وينسب
تقدّمها إياك بعد بلوغها السُّمى فيك ما كانت من الله تطلب
فقد أعطيت في ذا وذلك سُؤلها وباتت كما بات الحياء المتحلب
فأحسن عزاءً وأبقى فينا مُسلماً مُفدى من الأسواء تُرجى وترهب
فإن الرزايا ما تخطاك سهمها ليسهل مآثها وإن كان يصعب

فضل^(١) الشاعرة اليمامة

(١٢٤) جارية الإمام المتوكل على الله — رحمة الله عليه — . كانت جارية
شاعرة بمأجنة ، من أظرف أهل زمانها ، ولها أخبار ملاح مدونة .
أنبأني عبد الرحمن بن سعد الله الدقيق عن أبي القاسم بن السمرقندي قال
أخبرنا أبو منصور العكبري أخبرنا أبو الحسن بن الصلت قال أخبرنا
أبو الفرج الأصبهاني قال : كانت فضل مولدة من مولات البصرة وبها
نشأت ، وكان مولدها اليمامة^(٢) .

(١) أخبارها وأشعارها في الأغاني « ج ١٧ ص ٤ - ٨ » و « ج ٢١ ص ١١٤ - ١٢٠ » طبعة ساسي ولما ذكر في « ٩ : ١٠٥ ، ١٩ : ١٣٢ » منه .
وأما القالي « الدليل ص ٨٦ » . وطبقات الشعراء لابن المعتز « ص ٤٢٦ » طبعة
دار المعارف بمصر ، والمنتظم لابن الجوزي « ٥ : ٧٠٦ » وفوات الوفيات « ٢ : ٣٤٨ »
طبعة مطبعة السعادة . والحاسن والأضداد المنسوب إلى الجاحظ « ص ١٥٢ » .
وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٦٠ طبعة الهند « وبدائع البدائنه » ص ٢٩ ، ٦٠ «
وسيدات البلاط العباسي « ص ٨٢ » .

(٢) هكذا ورد النص وهو جائز على جعل « مولدها » خبراً لكان مقدماً ،
و « اليمامة » اسمها المؤخر .

وذكرها محمد^(١) بن داود فذكر أنها عبديّة، وكذلك كانت تزعم هي،
وتقول: إن أمها علقت بها من مولى لها من عبد القيس وإنه مات وهي
حامل بها، فباعها ابنه، فولدت على سبيل الرّق. وذكر عنها من
جهة أخرى أن أمها ولدتها في حياة أبيها، فربّأها وأدّبها، فلما توفى
تواطأ بنوه على بيعها فاشتراها محمد بن الفرّج الرُّخَجِيّ^(٢) أخو عُمر بن
الفرّج فأهداها إلى المتوكّل، وكانت سمراء أديبة فصيحة، سريعة
الهاجس، مطبوعة في قول الشعر، متقدّمة لسائر نساء زمانها فيه.

وبه أخبرنا أبو الفرّج الأصبهاني قال أخبرني محمد بن خلف حدثنا
أحمد بن أبي طاهر قال: جلبت فضل الشاعرة من البصرة فاشتراها
رجل من النّخاسين بعشرة آلاف درهم، فابتاعها محمد بن الفرّج الرُّخَجِيّ
فأهداها إلى المتوكّل، فكانت تجلس في مجلسه على كرسى تعارض

(١) يعنى محمد بن داود بن الجراح الأديب الوزير الشهير مؤلف كتاب
«الورقة» في سير الشعراء المحدثين وغيره، وسيشير إلى هذا الكتاب في آخر الترجمة،
والمطبوع منه بعناية دار المعارف وتحقيق الأستاذين الدكتور عبد الوهاب عزام
وعبد الستار فراخ خال من ترجمة «فضل» فالنسخة ناقصة، يؤيد ذلك قولهما
في «ص ١٠» من المقدمة: «والظاهر أن في هذه النسخة نقصاً يدل عليه ما نجده
في كتب الأدب والتراجم من نصوص منقولة عن كتاب الورقة لا نجدها في النسخة»
(٢) الرُّخَجِيّ منسوب إلى «رُخَج» قال ياقوت في معجم البلدان:
«رُخَج مِثَالُ زُمَج بتشديد ثانيه وآخره جيم، تعريب رُخُو: كورة ومدينة من
نواحي كابل... وينسب إلى الرُخَج فرج وابنه عمر بن فرج وكانا من أعيان
الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكّل، شبيهاً (كذا) بالوزراء وذوي الدواوين
الجليلة...». ومحمد هذا أخو عمر، وخبر الإهداء وارد في الأغاني «٢١»:

الشعراء بحضرته ، فألقى عليها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي :
 قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم أشهى المطي إلى ما لم يركب
 (٢٥) كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبست وحبّة لؤلؤ لم تثقب^(١)

فقال فضل مجيبة له :

إنّ المطيّة لا يلدّ ركبها حتى تذلل بالزمام وتركب^(٢)
 والحبّ ليس بنافع أربابه حتى يؤلف بالنظام ويثقب^(٣)
 وبه أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني قال حدثني عمرو ومحمد بن خلف
 وجعفر بن قدامة قالوا حدثنا أبو العيّن قال : لما أدخلت فضل الشاعرة
 على المتوكل يوم أهديت إليه قال لها : أشاعرة أنت ؟ قالت : كذا يزعم
 من باعني واشتراني^(٤) . فضحك وقال : أنشدنا شيئاً من شعرك . فأنشدته
 قولها :

استقبل^(٥) الملك إمام الهدى عام ثلاث وثلاثين
 (٢٥) خلافة أفضت إلى جعفر وهو ابن سبع بعد عشرينا

- (١) ورد في المنتظم أن هذا البيت من نظم فضل ، وهو بذلك أشبه .
 (٢) كذا ورد في فوات الوفيات « ما لم تذلل بالزمان وتركب » . والصواب
 في الأصل « حتى تذلل بالزمان وتركب » .
 (٣) كذا ورد في الأصل ، وفي المنتظم « كذا يزعم من باعني ومن اشترى »
 وهو الصحيح لأن « من باع » هو غير « من اشترى » فينبغي تكرار الاسم الموصول
 كما في قوله تعالى ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ لأن ما بين أيديهم مبين لما
 خلفهم ، وعلى هذا يجري تركيب الكلام عند العرب .
 (٤) استقبل : واجهه ، وأرادت بالاستقبال مباشرة الخلافة .

إِنَّا لَنَرْجُوا إِمَامَ الْهُدَى أَنْ تَمْلِكَ الْمُلْكَ^(١) ثَمَانِينَ
لَا قَدَسَ اللَّهُ أَمْرًا لَمْ يَقُلْ عِنْدَ دُعَاءِ لَكَ : آمِينَ

قال : فاستحسن الأبيات وأمر لها بخمسين ألف درهم .

وبه أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني قال أخبرنا محمد بن خلف بن المرزباني
قال حدثني أبو العباس المروزي قال : قال المتوكل لعلّ بن الجهم
« قُلْ يَتِيمًا وَقُلْ لِفَضْلِ الشَّاعِرَةِ تُجْزُهُ » فقال علي : أَجِيزِي يَا فَضْلُ :

لَا ذِي بِيهَا يَشْتَكِي إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهَا مَلَاذًا
فَأُطْرَقَتْ هُنَيْئَةً ثُمَّ قَالَتْ :

وَلَمْ يَزَلْ ضَارِعًا إِلَيْهَا مَهْطِلٌ أَجْفَانُهُ رَذَاذَا (٢٦)
فَعَاتَبَتْهُ فَزَادَ عِشْقًا فَمَاتَ وَجَدًّا فَكَانَ مَاذَا ؟

فَطَرِبَ الْمُتَوَكِّلُ وَقَالَ : أَحْسَنْتِ وَحَيَاتِي يَا فَضْلُ وَأَمَرَهَا بِأَلْفِي دَرَاهِمَ .

وبه أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني قال حدثني جعفر بن قدامة حدثني
سعيد^(٢) بن حميد قال : قلتُ لِفَضْلِ الشَّاعِرَةِ أَجِيزِي :

(١) في الأغاني « الدنيا » بدلاً من « الملك » . وكذلك ما في فوات الوفيات .
وفي المنتظم « الأمر » .

(٢) ذكر أبو الحسن علي المسعودي أن المستعين بالله العباسي قلد سعيد بن
حميد ديوان الرسائل ، قال : « وكان سعيد حافظًا لما يستحسن من الأخبار ،
أو يستجاد من الأشعار ، متصرفًا في فنون العلم ، ممتعًا إذا حدث ، مفيدًا إذا
جولس ، وله أشعار كثيرة حسان . . . إلا أن سعيداً على ما وصفنا عنه من الأدب
كان يتنصّب . . . يظهر التسنن والتحليل وظهر عنه الانحراف عن أمير المؤمنين علي =

مَنْ لِمُحِبِّ أَحَبَّ فِي صِفَرِهِ ؟

فقلت غير متوقفة :

فصار أُحدوثاً على كِبَرِهِ

فقلتُ :

مِنْ نَظَرٍ شَفَّهَ فَأَرَقَهُ

فقلت :

فكان مبدا هَوَاهُ مِنْ نَظَرِهِ

ثم شُغِلْتُ هُنَيْأَةً ثم قالت :

لولا الأمانى لمات من كمدٍ مَرُّ الليالي يزيدُ في فِكْرِهِ^(١)

(ط ٢٦) ليس له مُسْعِدٌ يُسَاعِدُهُ بالليل في طوله وفي قِصَرِهِ

وبِهِ أَخْبَرْنَا أَوْ الفرج قال قرأتُ في بعض الكتب عن عبد الله

= ابن أبي طالب - رضى - وعن الطاهرين من أولاده... وكان من أبناء المجوس « مروج الذهب ج ٤ ص ٩١ من طبعة دار الرجاء ». وذكر عز الدين بن جماعة الكنائى بسنده أن أبا عثمان سعيد بن حميد كان من أولاد الدهاقين من أهل النهروان الأوسط وولد ببغداد ونشأ بها وكان والده من وجوه المعتزلة ثم ادعى سعيد أنه من ذرية ملوك الفرس وكان كثير الإغارة على آثار الأدباء ، وألف كتاب « انتصاف العجم من العرب » ويعرف بكتاب التسوية قال : وذكر محمد بن داود عن الجراح أن مذهبه في العدل عن أهل البيت كان متعارفاً مشهوراً . « نسخة دار الكتب الوطنية ببغداد ٣٣٤٦ الورقة ١٢٠ » .

(١) في الأصل « من الليالي تزيد في فكره » وهو غير مستقيم . يراجع الأغاني « ١٩ : ١١٤ - ١٢٧ » والوزراء والكتاب « ٦٩ » والديارات « ٩٠٧ » .

ابن المعتز قال : قال لي إبراهيم بن المدبر^(١) « كانت فضل الشاعرة من أحسن خلق الله - عز وجل - خطاً ، وأفصحهم كلاماً ، وأبلغهم في مخاطبة ، وأبينهم في محاوره ، فقلت يوماً لسعيد بن حميد : أظنك يا أبا عثمان تكتب لفضل رقاعها وتُفيدها^(٢) وتُخرجها فقد أخذتْ نَحوك في الكلام وسلكتْ سبيلك . فقال لي وهو يضحك : ما أحسن ظنك !! ليتها تسلم مني : لا آخذُ كلامها ورسائلها ، والله يا أخى لو أخذتُ أفاضلُ الكتاب وكبرائهم وأماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك .

وأنشد^(٣) أبو علي الرازي قال أنشدتنا فضل الشاعرة لنفسها : (٢٧)

الصَّبْرُ يَنْقُصُ والبلاءُ يَزِيدُ والدارُ دَانِيَةٌ وأنتَ بَعِيدُ
أَشْكُوكَ أم أَشْكُو إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ سِوَاهَا المَجْهُودُ

وحدث أبو علي نطّاحة قال : خرج بمض الهاشميين يوماً من منزل بعض إخوانه في الليل ، فرأى امرأة ذات لباس وجمال ، وحولها

(١) قال شمس الدين الذهبي في المشته - ص ٤٧٢ - : « المدبر بفتح الموحدة أبو إسحاق إبراهيم بن المدبر الأخباري يحكى عنه جملة . وسيرته مشهورة في كتب الأدب والتاريخ ، وله الرسالة العذراء في الإنشاء ومذاهب الكتاب ، طبعها الدكتور زكي مبارك بمصر سنة ١٩٣١ ، وقد استوزره المعتمد على الله . توفي سنة ٢٧٩ « معجم الأدباء ١ : ٢٩٢ » وتاريخ الطبري في حوادث سنة ٢٧٩ .

(٢) في الأصل « وتُفيدها » وهو غير مستقيم ولا متسق ، والصواب ما ذكرناه .

(٣) هكذا ورد في الأصل ولعله « وحدث أبو علي . . . »

نِسْوَةٌ قَدْ حَفَفْنَ بِهَا ، وَهِيَ فِي وَسْطِهَا . فَقَالَ :
إِنَّ أَخَا الظَّالِمَاءِ مُسْتَرَابٌ

وَأَسْمَعُ النِّسْوَةَ فَأُجَابَتُهُ الَّتِي حَفَفْنَ بِهَا فِي أَسْرَعِ مِنْ نَفْسِي :
إِلَّا مُحِبًّا شَاقَهُ الْأَحْبَابُ

فسأل عن المرأة فإذا هي فضل الشاعرة . ذكر محمد بن داود بن
الجراح في كتاب الورقة^(١) في أخبار الشعراء^(٢) المحدثين قال : فضل
(٢٧ ط) الشاعرة العبدية مولاة المتوكل أشعر امرأة كانت في هذا العصر ومن
قولها في السَّحَر :

قَدْ بَدَا شِبْهُكَ يَا مَوْ لَائِي يَحْدُو بِالظَّلَامِ
فَانْتَبَهَ نَقْضُ لُبَانَا تِ اغْتِبَاقِ وَالتَّشَامِ
قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَنَا عَوْدَةُ أَرْوَاحِ النَّيَامِ

ذكر بعض المؤرخين أَنَّ فَضْلَ الشاعرة توفيت سنة سبع وخمسين
ومائتين .

(١) لم يرد هذا الخبر في المطبوع من كتاب « الورقة » ولا الذي ذكره في
أول سيرة « فضل » كما أشرنا إليه آنفاً .

(٢) في الأصل « شعراء المحدثين » وهو غلط من ناسخ غير عربي .

بنان^(١) جارية المتوكل

كانت شاعرة ، ذكرها أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني في كتاب الأغاني ، أنبأني عبد الرحمن الطحّان عن أبي القاسم بن السمرقندي قال أخبرنا أبو منصور العكبري قال أخبرنا أبو الحسن بن (٢٨) الصّلت قال أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني قال أخبرني جعفر بن قدامة حدثني يحيى بن علي المنجم قال حدثني الفضل بن العباس الهاشمي قال حدثني بنان الشاعرة قالت : خرج المتوكل يوماً يعيش في صحن القصر ، وهو متوكئ على يدي ويد فضل الشاعرة فمضى شيئاً ثم أنشد قول الشاعر :

تعلّمتُ أسباب الرّضا خوفاً هجرها وعلمها حيّ لها كيف تَعْتَبُ

ثم قال : أجزى هذا البيت ، فقالت فضل :

يَصْدُ وَأَدْنُو بِالْمُودَةِ جَاهِداً وَيَبْعُدُ عَنِّي بِالْوَصَالِ وَأَقْرَبُ

فقلت :

وعندي له العُتْبَى على كلِّ حالةٍ فما منه لي بُدٌّ ولا عنه مَهْرَبُ

(١) ضبط الذهبي بالقلم كل « بنان » للرجال بضم الباء الموحدة ولا نظن الجارية سميت إلا بالبنان الذي هو أطراف الأصابع ، وأخبار « بنان » هذه في الأغاني كما أشار إليه المؤلف ونقل منه « ٨ : ١٧ ، ٢٠ » و « ١١ : ٢ » و « ٢١ :

مُحِبُّوبَةُ^(١) جارية الإمام المتوكل

ذكرها صاحب كتاب الأغاني . أخبرني عبد الرحمن بن سعد الله الواسطي إِذْناً عن أبي القاسم بن السمرقندي قال أخبرني أبو منصور المُكْبَرِي أخبرنا أبو الحسن بن الصلت أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني قال : محبوبَةُ جارية المتوكل كانت مولدة، شاعرة مغنية مُقدِّمة في الحالتين على طبقها ، وكانت حسنة الوجه والغناء ، أهداها عبيد الله بن طاهر للمتوكل على الله لما وُلِّي الخلافة في جُملة أربعمئة^(٢) جارية قِيَانٍ وسَوَاجٍ^(٣) ، فتقدمتهنَّ جميعاً عنده .

وبِهِ أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِي قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قَدَمَةَ حَدَّثَنِي (٢٩١) ابْنُ خُرْدَاذِبِهِ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا بِمَحْضَرَةِ الْمُتَوَكِّلِ وَهُوَ يَشْرَبُ وَنَحْنُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذْ دَفَعَ إِلَيَّ مُحِبُّوبَةً تُقَاحَةً مُغْلَقَةً بِغَالِيَةٍ

(١) أخبارها في الأغاني « ١٩ ، ١٣٢ - ٤ » . ومروج الذهب « ٤ : ٧٣ طبعة دار الرجاء » وتاريخ الخلفاء للسيوطي « ص ٣٥٧ ، ٣٦٠ طبعة الهند » وألف ليلة وليلة « ٢ : ٣٠٤ طبعة مطبعة التقدم » ووفيات الأعيان « نشرة وستنفلد المستشرق الألماني في الترجمة ١٣٣ وهي ترجمة أبي الفضل جعفر المتوكل على الله » .
(٢) في المروج « وأهدى إليه ابن طاهر هدية فيها صائتا وصيف ووصيفة » وفي ألف ليلة وليلة « وقد أهدى عبيد الله بن طاهر إلى المتوكل أربعمئة جارية : مائتان بيض ومائتان حبش ومولدات » .

(٣) السَّوَاذِج جمع الساذجة وهي الجارية التي لم تدرب على الغناء ولا على الضرب على آلاته .

فقلبت^(١)ها وانصرفت عن حضرته ثم خرجت جارية لها ومعها رُقعة ،
فدفعتها إلى المتوكل فقرأها وضحك ثم رمى الرقعة إلى الناظر أنها فإذا فيها:

يا طيب^(٢) تَفَاحَةٌ خَاوَتْ بِهَا تُشْعِلُ نَارَ الْهَوَىٰ عَلَى كِبْدِي
أَبْكِي إِلَيْهَا فَأَشْتَكِي دَنْفِي وَمَا أُلَاقِي مِنْ شِدَّةِ الْكَمَدِ
لَوْ أَنَّ تَفَاحَةً بَكَتْ لَبَكَتْ مِنْ رَحْمَتِي^(٣) هَذِهِ الَّتِي بِيَدِي
إِنْ كُنْتَ لَا تَعْلَمِينَ مَا لَقِيتْ نَفْسِي فَمِصْدَاقُ ذَاكَ فِي جَسَدِي
فَإِنْ تَأَمَّلْتَهُ عِلِمَتْ بِأَنْ لَيْسَ لِخَلْقٍ عَلَيْهِ مِنْ جَلَدٍ

قال : فما بقى والله أحدٌ إلا استظرفها واستملح الأبيات وأمر المتوكل (ط٢٩)
عَرِيبَ وَشَارِيَةَ^(٤) فَصَنَعَتَا فِي الشَّعْرِ لَحْنَيْنِ^(٥) غُنِّيَ بِهِمَا بَاقِي يَوْمِهِ .

(١) هكذا ورد الفعل ، ويجوز أن يكون أصله « فقلبت^(١)ها » كأنها فعلت ذلك
احتراماً لمهديها .

(٢) قال ابن هشام في المغنى : وإذا ولي (يا) ما ليس بمنادى كالفعل
في (ألا يا اسجدوا) . . . والحرف نحو (يا ليتني كنت معهم فأفوز ، يا رَبِّ
كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة) والجملة الاسمية كقوله : يا لعنة الله والأقوام
كلهم . . . فقيل هي للنداء والمنادى محذوف ، وقيل هي لمجرد التنبيه لئلا يلزم
الإحجاف بحذف الجملة كلها

(٣) هكذا في الأصل « من رحمتي » وهو من إضافة المصدر إلى مفعوله .

(٤) من شهيرات الجوارى وكبيرات الملحنات والمغنيات ، لها ذكر في تاريخ
الطبرى في حوادث سنة « ٢٣٢ » وسنة « ٢٥٦ » ، وأخبارها في الأغاني « ٣ :
١٢١ ، ١٧٧ ، ٩ : ٣٤ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ١٤ : ٩٨ ، ١٠٥ - ١١٠
طبعة ساسي » والديارات للشابشتي « ص ٦٥ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩٩ . ولها ترجمة في
الوفاي بالوفيات » نسخة دار الكتب الوطنية ببغداد ٢٠٦٥ الورقة ١٣١ .

(٥) في الأصل « تحت » والذي أثبتناه هو الصواب .

وبه قال : حدثنا جعفر بن قدامة حدثني علي بن يحيى المنجم قال : قال المتوكل لعل بن الجهم - وكان يأنس به ولا يكتمه شيئاً من أمره - : يا عليّ إني دخلتُ إلى قبيحة^(١) الشاعرة فوجدتها قد كتبت اسمي على خدّها بغالية ، فوالله ما رأيتُ شيئاً أحسنَ من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخدّ ، فقلّ في هذا شيئاً . وكانت محبوبةً جالسةً من وراء الستارة تسمع الكلام ، فإلى أن دُعِيَ لعل بالدّواة والدّرج وأخذ يفكر قالت على البديهة :

(٣٠) وكاتبة بالمسك في الخد جعفرًا بنفسى مخطّ المسك من حيث أثرا
لئن كتبت في الخد سطرًا بكفها^(٢) لقد أودعت قلبي من الحب^(٣) أسطرا

(١) من جوارى المتوكل المشهورات بالجمال وهي رومية الأصل ، وإنما سميت قبيحة من باب المضادة في التسمية خوفاً عليها من إصابة العين ، وقد ولدت للمتوكل فيمن ولدت ابنين هما المعتز بالله وأخوه إسماعيل ، ولها في كتب الأدب أخبار مليحة ، وفي تاريخ العراق السياسي أنباء خطيرة ، توفيت بسامرا بعد عمر حافل بالأحداث والحوادث سنة ٢٦٤ هـ ويظهر لنا أن المؤلف ذكرها في كتابه « أخبار من أدركت خلافته ولدها من جهات الخلفاء ذوات المعروف والعطاء » . المذكور في أول هذا الكتاب ، وأخبارها في الأغاني « ٩ : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١٢ : ١٥٩ ، ١٧ : ١٣٠ ، ١٩ : ١٣٢ ، ٢١ : ١١٩ طبعة ساسي » . وتاريخ الطبري في مواضع . والديارات للشابشتي « ص ٩٨ ، ١٠٨ ، ١٠٩ » والمنتظم « ٥ : ٤٨ » . وتاريخ الخلفاء للسيوطي « ص ٢٥٦ » وسيدات البلاط العباسي « ٧٠ - ٨١ » . وعيون الأنبياء في طبقات الأطباء « ١ : ١٧١ » وغير ذلك .

(٢) في مروج الذهب « لئن أودعت خطأ من المسك خدّها » . « ج ٤ ص ٧٤ » . وفي تاريخ الخلفاء « لئن أودعت سطرًا من المسك خدّها » .

(٣) في المروج « الوجد » .

فيا مَنْ لِمَمْلُوكٍ لِمَلِكٍ يَمِينُهُ مُطِيعٌ لَهُ فِيمَا أَسَرَ وَأَظْهَرَ^(١)
ويا مَنْ مَنَّاها فِي السَّرِيرَةِ جَعْفَرٌ سَقَى اللَّهَ مِنْ سُقْيَا ثَنَائِكَ جَعْفَرًا^(٢)

قال : وبقي على بن الجهم واجباً لا ينطقُ بحرف ، وأمر المتوكل
عريبَ فغنت في هذا الشعر .

وبِهِ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ قَدَامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي مَوْلَايَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ
قَالَ : غَاظَبَ الْمُتَوَكِّلُ مَحْبُوبَةً فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ بَعْدَهَا عَنْهُ ثُمَّ صَالَحَهُ بَعْدَ
ذَلِكَ^(٣) ثُمَّ جِئْتُهُ يَوْمًا فَحَدَّثَنِي أَنَّهُ رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهَا قَدْ صَالَحَتْهُ ، وَدَعَا
بِمَخْدَمٍ لَهُ فَقَالَ : اذْهَبْ فَاعْرِفْ لِي خَبَرَهَا وَأَيَّ شَيْءٍ تَصْنَعُ ؟ فَرَجَعَ^(٣٠) (ظ)
فَأَعْلَمَهُ أَنَّهَا جَالِسَةٌ تَغْنِي . فَقَالَ لِي : أَمَا تَرَى إِلَى هَذِهِ تَغْنِي وَأَنَا عَلَيْهَا

(١) فِي الْمَرْوَجِ : فَيَا مَنْ لِمَمْلُوكٍ يَظَلُّ مَلِيكُهُ مُطِيعًا لَهُ فِيمَا أَسَرَ وَأَظْهَرَ

(٢) فِي الْمَرْوَجِ :

ويا من لعيني من رأى مثل جعفر سقى الله صوب المستهلات جعفرًا

(٣) هَكَذَا وَرَدَ النَّصُّ وَفِيهِ اضْطِرَابٌ فِي الْإِسْنَادِ وَالسِّيَاقِ وَالْقِصَّةِ مَفْصُلة

فِي مَرْوَجِ الذَّهَبِ « ٤ : ٧٤ - ٥ » بِاتِّسَاقٍ وَحُسْنِ انِّسِيَاقٍ . قَالَ ابْنُ الْجَهْمِ :

وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ أَيْضًا لِأَنَادِمِهِ فَقَالَ لِي : وَيْلَكَ يَا عَلِي ، عَلِمْتَ أَنِّي غَاظَبْتُ مَحْبُوبَةً

وَأَمَرْتُهَا بِلُزُومِ مَقْصُورَتِهَا وَنَهَيْتُ الْحَشَمَ عَنِ الدَّخُولِ إِلَيْهَا وَأَنْفَتُ مِنْ كَلَامِهَا ،

فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي إِنْ كُنْتُ غَاظَبْتُهَا الْيَوْمَ فَصَالَحْتُهَا غَدًا وَيَدِيمُ اللَّهُ سُرُورَ

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَمُدُّ فِي عَمْرِهِ . . . » .

وَفِي تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ لِلْسِّيُوطِيِّ « عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ : أَهْدَى إِلَى الْمُتَوَكِّلِ

جَارِبَةً يُقَالُ لَهَا مَحْبُوبَةٌ . . ثُمَّ إِنَّهُ غَضِبَ عَلَيْهَا وَمَنَعَ جَوَارِيَ الْقَصْرِ مِنْ كَلَامِهَا ،

فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا فَقَالَ لِي : قَدْ رَأَيْتُ مَحْبُوبَةً فِي مَنَامِي كَأَنِّي قَدْ صَالَحْتُهَا وَصَالَحْتَنِي

فَقُلْتُ : خَيْرًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : قُمْ لِنَنْظُرْ مَا هِيَ عَلَيْهِ . . . » وَهَكَذَا نَجِدُ

الْقِصَّةَ وَالشَّعْرَ فِي اخْتِلَافٍ وَتَغَايِيرٍ .

غَضبان . ثم قال لى : قم معى حتى نسمع بأى شىء تغنى ؟ فقمنا حتى انتهينا إلى حُجرتها فإذا هى تُغنى :

أَدُورُ فى القصر لا أرى أحداً أَشكو إليه ولا يُكلمنى
حتى كَأنى ركبْتُ مَعْصِيَةً لَيْسَتْ لها تَوْبَةٌ تُخَلِّصُنِى
فهل لنا شافع إلى مَلِكٍ^(١) قد زارنى فى الكرى فصالحنى
حتى إذا ما الصبحُ لاح^(٢) لنا عادَ إلى هجرِهِ فصارمَنى

قال : فَطَرِبَ المتوكلُ وأَحْسَتْ به فخرجَتْ إليه ، وخرَجنا تنبادر .
(٣١) فأعلَمَتْهُ أنها رَأَتْهُ فى النوم وقد جاءها فصالحها فقالت هذا الشَّعرُ وغَنَّتْ به . فَأَطَرَبَ ذلك المتوكلُ ، وأقام يشربُ مَعَهَا ، وخرجَتْ إلينا جوائِزها .

وبه قال : حدثنا على بن يحيى أن جَوَارِيَّ^(٣) المتوكل تفرَّقْنَ بعد موْتِهِ
فصار إلى وصيفٍ عَدَّةٌ مِنْهُنَّ فَيَهْنُ^(٤) مَحْبُوبَةٌ^(٤) ، واصطَبِجَ يوماً وأمر

(١) فى المروج « فن شفيع لنا إلى ملك » وفى تاريخ الخلفاء « فهل شفيع لنا إلى ملك » .

(٢) فى المروج « عاد » .

(٣) قال المسعودى والسيوطى بعده « ويقال إن المتوكل كان له أربعة آلاف سُرِّيَّة ، وطئهنَّ كُلَّهنَّ » .

(٤) فى المروج « ضمت هى وكثير من الرصائف إلى بغا الكبير وفى تاريخ الخلفاء « وكان من حظاياها وصيفة تسمى محبوبة شاعرة عالمة بصنوف العلم ، عوادة فلما قتل ضمت إلى بغا الكبير . . . » فالظاهر أن هذا هو الخبر الراجح . لولا أن مؤلف هذا الكتاب سيزكر كيفية انتقالها إلى بغا .

بإحضارِ جَوَارِي المتوكل ، فَأَحْضِرْنَ عَلِيَّ بْنَ الثَّيَابِ الفاخرة الملوّنة
والْحُلِيَّ وقد تَزَيَّنَّ وتَعَطَّرْنَ ، سوى محبوبه فإنها جاءت مَرْهَاءً^(١) مُتَسَلِّبَةً^(٢)
عليها ثياب بياض غير فاخرة ، فَغَنَّى الجواري وطَرَبْنَ وشَرَبْنَ وطَرَبَ
ثم قال لمحبوبة : غَنِّي . فَأَخَذَت الدُّودَ وَغَنَّتْ وهي تبكي :

أَيُّ عَيْشٍ يَطِيبُ لِي^(٣) لَا أَرَى فِيهِ جَعْفَرًا
مَلِكًا قَدْ رَأَيْتُهُ عَيْنِي قَتِيلًا مُعْفَرًا^(٤)
كُلُّ مَنْ كَانَ ذَا سَقَا مِمْ وَحُزْنٍ فَقَدْ بَرَا^(٥)
غَيْرِ مَحْبُوبَةٍ الَّتِي لَوْ تَرَى الْمَوْتَ يُشْتَرَى
(٣١ ظ)

(١) يُقَالُ : مَرَهَتْ عَيْنُهَا ثَمَرَةً مَرَّهَا : ابْيَضَّتْ بَوَاطِنُ أَجْفَانِهَا لَتَرَكَ
الْكُحْلَ فَهِيَ مَرَّهَاءٌ وَقِيلَ لِلْمَرْأَةِ « مَرَّهَاءٌ » عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ .

(٢) تَسَلَّيْتُ : لَبَسْتُ السَّلَابَ وهي ثياب المأتم السود في الأصل كالحداد ،
ولكن محبوبه لم تلبس ثياباً سوداً بل كان عليها ثياب بيض وهي لباس الحزن
عند بني العباس بما كان من اختيارهم السَّوَادَ للباسهم المعتاد . « راجع المنتظم ٨ :
٢٩٢ » ففيه أن المقتدى لما جلس بعد البيعة كان عليه قميص أبيض وعمامة لطيفة
بيضاء وطرحه قصب دُرِّيَّةَ . وكانوا يلبسون البياض أيام الحزن ثم يعودون إلى
لبس السواد . وقلدهم أهل الأندلس في اتخاذ البياض للحزن قال علي بن عبد العزيز
الحصري :

إِذَا كَانَ الْبَيَاضُ لِبَاسَ حُزْنٍ بِأَنْدَلُسَ وَذَاكَ مِنَ الصَّوَابِ
أَلَمْ تَرْنِي لَبَسْتُ بَيَاضَ شَيْبِي لِأَنِّي قَدْ حُزَنْتُ عَلَى شَبَابِي

الذخيرة « ٢ : ٣٧ » والوفيات « ١ : ٣٧٢ » .

(٣) فِي الْمَرْوَجِ وَتَارِيخِ الْخُلَفَاءِ « يَلْذُّ لِي »

(٤) فِيهِمَا « مَلِكٌ قَدْ رَأَيْتُهُ - فِي نَجِيعٍ مُعْفَرًا » .

(٥) فِي الْمَرْوَجِ « كُلُّ مَنْ كَانَ ذَا خِبَالٍ وَسَقَمَ فَقَدْ بَرَا » . وَفِي تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ

« كُلُّ مَنْ كَانَ ذَا هِيَامٍ وَسَقَمَ فَقَدْ بَرَا » .

لَا شَرَّهُ بِمِلْكِهَا لِتُؤَارَى وَتُقَبَّرَا^(١)
إِنَّ مَوْتَ الْحَزِينِ أَطْيَبُ مِنْ أَنْ يُعْمَرَ

قال : فاشتد ذلك على وَصِيفٍ وَهَمَّ بِقَتْلِهَا فاستوهبها منه بُغَا ، وكان حاضراً ، فوهبها له وأعتقها وأمرها بأن تُقيم حيث أَحَبَّتْ ، فخرجت إلى بغداد فأقامت بها ، وَأَخْمَلَتْ نَفْسَهَا حَتَّى مَاتَتْ حَزِينَةً — رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، وَجَزَاهَا عَنْ حُسْنِ الْعَهْدِ وَحِفْظِ الْوِدَادِ وَالْوَفَاءِ خَيْرًا — .

نَاشِبُ الْمُتَوَكِّلِيَّةِ

(٣٢) كانت من المغنّيات المذكورات بالحدّيق وجودة الصنعة . روى عنها القاضي أبو بكر أحمد^(٢) بن كامل بن خلف بن شجرة . قرأت على الحافظ أبي عبد الله البغدادي^(٣) .

(١) فيهما « لا شرته بما حوتها يداها لتقبرا » .

(٢) تقدم ذكره في « ص ٨٠ » .

(٣) هو محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن النجار الحافظ ، أحد كبار المؤرخين والمؤلفين والمحدثين ، قال ابن الفوطي : « كان من الحفاظ المكثرين ، والعلماء المشهورين ، والفضلاء المذكورين ، سافر الكثير في طلب العلم شرقاً وغرباً . . . وسمع في كل بلد دخله وقرية نزلها ، وصنف الذيل على تاريخ الخطيب ، وله غير ذلك من الكتب والمجاميع ، وله مشيخة تحتوي على ألف شيخ . ومولده في ذي القعدة سنة ٥٧٨ . وتوفي في خامس شعبان سنة ٦٤٣ ودفن بباب حرب » . « تلخيص معجم الألقاب » ، ج ٥ الترجمة ٧٠٧ طبعة لاهور في باكستان . وله ترجمة في الكتاب الذي سميناه « الحوادث الجامعة ص ٢٠٥ استرجاحاً » فظهر أنه غيره . وفي طبقات الشافعية الكبرى للسبكي =

قال أخبرنا عيسى^(١) بن عبد العزيز اللخمي بالقاهرة ، أخبرنا أحمد بن محمد الأصبهاني [السلفي] أخبرنا المبارك بن عبد الجبار الصيرفي أخبرنا أبو يعلى أحمد^(٢) بن عبد الواحد العدل أخبرنا أبو الفرج المعافى بن زكريا الجري قال حدثنا أحمد بن كامل قال : سمعتُ ناشبَ المتوكلية تُغني لإبراهيم بن المهدي :

أَنْتَ امْرُؤٌ مُتَجَنِّ وَلَسْتَ بِالغَضْبَانِ
هَبْنِي أَسَاتُ فَهَلَّا مَنَنْتَ بِالْغُضْرَانِ

= « ٥ : ٤١ » وفوات الوفيات « ٢ : ٢٦٤ » والشذرات « ٥ : ٢٢٦ » وله ذكر في النجوم الزاهرة « ٦ : ٣٥٥ » وقد جاء فيه لقبه « مجد الدين » بدلاً من « مجد الدين » وهو من خطأ النسخ وعدم التصحيح في الطبع . وله ترجمة حسنة في « منتقى المعجم الكبير الذي لشمس الدين الذهبي ، انتقاء تقي الدين ابن قاضي شهبة » نسخة دار الكتب الوطنية ببباريس ٢٠٧٦ الورقة ١٤٧ .

(١) ذكره شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري في « غاية النهاية في طبقات القراء » ج ١ ص ٦٠٩ وتام اسمه « موفق الدين أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى بن عبد الواحد اللخمي الشريشي الأصل ثم الإسكندري المالكي المقرئ » ذكر أنه كان إماماً في قراءات القرآن ، ولكنه خلط كثيراً وأتى بشيوخ لا يعرفون فاتهم بالكذب وألف كتاباً في القراءات سماه « الجامع الأكبر » قال ابن الجزري : « لم يجمع مثله في هذا الفن فإنه لم يترك من القراءات شيئاً قل ولا جل إلا نادراً . من رآه رأى العجب » . توفي في جمادى الآخرة سنة ٦٢٩ بالإسكندرية « غاية النهاية ١ : ٦٠٩ - ٦١١ » والشذرات « ٥ : ١٣٢ » وله ذكر في النجوم الزاهرة « ٦ : ٢٧٩ » . وذكره جمال الدين بن الصابوني في « تكملة إكمال الإكمال » ص ٢١٦ من طبعة المجمع العلمي العراقي وتعليق ناشر هذا الكتاب . (٢) في الأصل « ابن أحمد » . راجع تاريخ الخطيب « ٤ : ٢٧٠ » .

فاطمة بنت الفتح بن خاقان

(٢٢ ط) كانت زوجة الإمام المَعْتَز بالله محمد بن المتوكل ، ماتت سنة سبع وسبعين ومائتين ، ذكر ذلك أبو طاهر الكَرخي^(١)

فريدة^(٢) زوجة المتوكل

وهي الصغرى

ذكرها الصُّولى فقال : فَرِيدَة (بالياء) كانت جاريةً مُغْنِيَةً مُحَسِّنَةً ،
ذكرها أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني ونسب إليها الصنعة في

(١) هو أحمد بن الحسن بن محمد بن خداداذ الباقلوى ، ولد ببغداد ونشأ فيها ، وعنى بالحديث فسمع من أبي علي بن شاذان ، وأبي القاسم بن بشران ، وأبي بكر البرقاني وغيرهم ، وكان ثقة في الحديث ضابطاً ، جميل الحصال ، مقبلاً على ما يعنيه ، زاهداً في الدنيا ، حدث عنه عبد الوهاب الأنماطى ، وكان يتشاغل يوم الجمعة بالتعبد ، ويقول لأصحاب الحديث « من السبت إلى الخميس ، ويوم الجمعة أنا بحكم نفسي للتبكير للصلاة وقراءة القرآن . وما قرئ عليه في الجامع حديث قط ، توفي سنة ٤٨٩ ودفن بمقبرة باب حرب ، ترجمه ابن الجوزى في المنتظم ٩ : ٩٨ ولم يذكر له تاريخاً إلا أن بعض المؤرخين غير ابن الساعى المؤلف ، نقل من تاريخه « راجع التاريخ المجدد لمدينة السلام لابن النجار ، نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق » التاريخ ومنحقاته ٤٢ الورقة ٥ ، ٢٢ ، ٢٠ ، ١٢٩ ، ١٥٢ و « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣١ الورقة ٤٧ ، ٨٢ » ونقل منه ابن الفوطى بوساطة تاريخ ابن النجار « تلخيص معجم الألقاب ، نسخة المكتبة الظاهرية في « علم السنة عتيق بن عبدالله البكرى » . (الورقة ٦٤) .

(٢) الأغاني ٣ : ١٧١ - ٥٢٨ : ٩١ ، ٨ ، ١٦٠ ، ١٤ : ١٠٨ ،

١٧ : ١٣٧ .

صوت لأبي العتاهية وهي قوله :

يا ويح قلبي لو أنه أقصر ما كان عيشي كما أرى أكدر
فمن عذيري ممن كلفت به يشهد قلبي بأنه يسجر
يا رب يوم رأيتني كلفاً أخوض في اللهو مسبل المئزر
بين ندامي تحث كاسهم عليهم كف شادين أخور (rrr)

كانت عند الإمام الواثق ، وكانت حظية عنده ، مقربة لديه ،
وكانت على ملك عمرو بن بانه المغني . فلما مات الواثق بالله وبويع
أخوه الإمام المتوكل على الله أهداها له ، فتزوجها وحظيت عنده .
وقيل بل أهداها مولاها عمرو المذكور للواثق ، ثم صارت إلى
المتوكل فتزوجها .

نبت^(١) جارية الإمام المعتمد

ذكرها أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني في كتاب الأغاني فقال :
كانت مغنية حسنة الغناء ، شاعرة سريعة الهاجس وقال : ذكر أحمد^(٢)

(١) الأغاني « ١٩ : ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ طبعة ساسي » .

(٢) هو أحمد بن محمد بن مروان المعروف بابن الطيب وبابن الفراني ،
قال ياقوت : « أحد العلماء الفُهماء ، المحصلين ، الفصحاء البلغاء ، المتقنين .
له في علم الأثر الباع الوساع ، وفي علوم الحكماء الذهن الثاقب الوقاد وبسطة
في الذراع ، وهو تلميذ الكندي وله في كل فن تصانيف ، وبجاميع وتوايف ،
وكان أحد ندماء أبي العباس المعتضد بالله والمختصين به . فأنكر منه بعض شأنه =

ابن الطَّيِّب عن بعض الكُتَّاب أَنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى الْإِمَامِ الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللَّهِ ،
(٣٣ ظ) فامتحنها في الغناء والكتابة ، فرضى بما ظهر له مِنْ أَمْرِهَا ، ثُمَّ قَالَ
لَا بِنَ حَمْدُون : قَارِضُهَا . فَقَالَ :

وَهَبْتُ نَفْسِي لِلْهَوَى

فَقَالَتْ غَيْرَ مَتَوَقِّفَةٍ :

فَجَارَ كَمَا أَنَّ مَلَكًا

فَقَالَ :

فَصَرْتُ عَبْدًا خَاضِعًا

فَقَالَتْ :

يَسْأَلُكَ بِي حَيْثُ سَلَكَ

فَأَمَرَ الْمُعْتَمِدُ بِشِرَائِهَا ، فَأُتِيَتْ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

وَأَنْبَأَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعْدِ اللَّهِ الدَّقِيقِيُّ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ السَّمَرَقَنْدِيِّ
عَنْ أَبِي مَنْصُورِ الْكُكْبَرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الصَّلْتِ قَالَ أَخْبَرَنَا
أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ قَدَامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ

= فَأَذَاقَهُ حَمَامَةً صَبْرًا وَجَعَلَهُ نِكَالًا . وَلَمْ يَرَعْ لَهُ ذِمَّةٌ وَلَا إِلَّا . . . » وَذَكَرَ أَنَّهُ وَلِيَ
الْحِسْبَةَ وَسُوقَ الرَّقِيقِ سَنَةَ ٢٨٢ وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ لِحَمْسٍ خَلُونِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى
سَنَةَ ٢٨٣ غَضِبَ الْمُعْتَصِدُ عَلَيْهِ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ مِائَةَ سَوْطٍ وَنَقَلَهُ إِلَى سِجْنِ الْمَطْبَقِ ،
وَفِي صَفَرِ سَنَةِ ٢٨٦ مَاتَ ، ذَكَرَ ذَلِكَ يَاقُوتٌ بَعْدَ أَنْ قَالَ « فَأَذَاقَهُ حَمَامَةً صَبْرًا »
وَنَقَلَ يَاقُوتٌ أَنَّ ابْنَ الطَّيِّبِ دَعَا الْمُعْتَصِدَ إِلَى الْإِلْحَادِ فَأَلَّ أَمْرَهُ إِلَى الْهَلَاكِ « مَعْجَمُ
الْأَدْبَاءِ ١ : ١٥٨ طَبْعَةُ مَرْغَلِيُوثِ الْأُولَى » وَفَهْرَسْتُ ابْنَ النَّدِيمِ « ص ٣٦٥ »
وَالْمُنْتَظَمُ « ٥ : ١٢٤ » وَغَيْرُهَا .

قال : دخلتُ يوماً على نبت جارية مخفّرة المَخْنَث وكانت حسنة الوجه
والغناء ، فقلت لها : « قد قلتُ مصراعاً فأجيزيه » فقالت : قل . فقلت : (٣٤)
يا نبتُ حُسْنُكَ يُعْشَى بِهِجَّةَ الْقَمَرِ

فقالت :

قد كاد حُسْنُكَ أَنْ يَبْزُنِي بَصَرِي

فتوقفتُ أفكر : فسبقتني فقالت :

وطيبُ نَشْرِكٍ مِثْلُ الْمِسْكِ قَدْ نَسِمَتْ رِيّاً الرِّياضِ عَلَيْهِ فِي دُجَى السَّحَرِ

فزادتُ ففكرتُ ، وبادرتني ^(١) فقالت :

فهل لنا فيك حظٌّ من مُواصلةٍ أَوْ لا فَإِنِّي رَاضٍ مِنْكَ بِالنَّظَرِ

فَقُمْتُ عَنْهَا خَجِلاً ثُمَّ عُرِضْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْإِمَامِ الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللَّهِ ،
فاشتراها بِعُشُورَةٍ عَلَى بَنِي يَحْيَى الْمُنْجِمِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

خَلَّافَةُ أُمِّ وَلَدِ الْمُعْتَمِدِ وَمَوْلَاتِهِ

كانت حظيةً عنده ، جليلة القدر ، كان لها جارية اسمها مُنِيَّةُ ^(٣٤ظ)

الكاتبة ، ذكرها أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب في تاريخه وقال : حَدَّثْتُ ^(٢)

(١) في الأصل « وبارزني » ولا يناسب المقام ولا له معه التأم .

(٢) يعني « منية » لا خلافة ، ونصّ قوله « منية الكاتبة : جارية خلافة أم
ولد المعتمد على الله ، حدثت عن أبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء .
روى عنها عبيد الله بن الحسين بن عبد الله البزاز الأنباري » . « ج ١٤ ص ٤٤١ »

عن أبي الطيب محمد بن إسحق بن يحيى الوشاء ، روى عنها عبيد الله
ابن الحسين بن عبد الله البراز الأنباري .

ضِرارُ والدَةِ الإمامِ المُعتضِدِ

كانت جارية الإمام الموفق^(١) بن الإمام المتوكل على الله ، حَظِيَّةً
عنده ، ولدت له الإمام المعتضد بالله ، وكان اسمُها قبل ذلك « خَفير » ،
وكانت كثيرة البر لمواليها ، ذكرها أحمد بن أبي طاهر في تاريخه^(٢)
وقال : ماتت في آخر جمادى الأولى من سنة ثمان وتسعين ومائتين
ودُفِنَتْ بِتُرْبِ الرُّصَافَةِ . قلت : ولم تُدرِكْ خلافة ولدها بل تُوفيت
قبله بستة أيام ، فلهذا لم أذكرها في كتاب « أخبار من أدركت خلافة
ولدها من جهات الخلفاء ذوات المعروف والعطاء » .

قَطْرُ^(٣) النَّدَى بنتُ خُمارَوِيَه

ابن أحمد بن طولون

وتسمى « أسماء » . تزوجها الإمام المعتضد بالله وهي عند أبيها
بمصر ، ووصلت إلى بغداد في شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وثمانين

(١) لم يكن الموفق طلحة بن المتوكل إماماً أى خليفة بل كان ولي عهد ،
فإن صح أن هذا قول المؤلف فهو خطأ . ولعل الأصل « الأمير » .

(٢) لا ذكر لها في المطبوع منه المعروف بأخبار بغداد .

(٣) أخبارها في تاريخ الطبرى كما في حوادث سنة « ٢٨٧ » ، ومروج=

ومائتين ، وزُفَّت إليه وكان معها من الجهاز ما لا يكاد أن يُوجد مثله
 في خزائن ملوك الأرض ، وكانت من أعقل النساء وأرأسهن .
 أنبأني أبو القاسم علي^(١) بن عبد الرحمن بن علي عن أحمد بن المقرَّب عن
 أبي علي البرداني قال : حدثني أخى أبو غالب يوسف بن محمد قال :
 سمعت أبي يقول يوماً وقد جرى ذكر الحرَّة بنت أحمد بن طولون زوجة
 المعتضد بالله : إنَّ المعتضد قال لها يوماً : « بِمَ تشكرين الله إذ جعل أمير
 المؤمنين زوجك؟ » فقالت : « بما يشكر به أمير المؤمنين إذ جعل أحمد بن
 طولون من رعيتِهِ » .

ذكر محمد^(٢) بن جرير الطبري أن قطر الندى بقيت عند الإمام
 المعتضد بالله إلى أن توفيت عنده في السابع من رجب سنة سبع وثمانين
 ومائتين ، ودُفنت داخل قصر الخلافة^(٣) .

=الذهب « ٤ : ١٦٩ » طبعة دارالرجاء ، والنجوم الزاهرة « ٣ : ٥٣ ، ٦١ ، ٦٢ ،
 ٦٣ ، ٧٢ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ١٨٥ » و« عباسية من معجم البلدان »
 وشرح نهج البلاغة لعبد الحميد بن أبي الحديد « ١ : ٧٣ ، ٢ : ٥٩٢ » والمنتظم
 « ٦ : ٢٦ » ووفيات الأعيان « ١ : ١٩٢ » في ترجمة أبيها خمارويه ، وسيدات
 البلاط العباسي « ٩٤ » .

- (١) راجع تعليق ترجمة ابن الجوزي على آيتين هذا الكتاب .
- (٢) في الأصل « محمد بن حمزة الطبري » وهو خطأ واضح .
- (٣) في تاريخ الطبري والمنتظم لابن الجوزي والوفيات « قصر الرُصافة »
 وهو الصحيح ، وقد ورد ذكر هذا القصر في حوادث سنة « ٢٥٥ » من تاريخ
 الطبري أيضاً قال : « وكانت أم محمد بن الواثق توفيت قبل أن يبايع وكانت تحت
 المستعين فلما قتل المستعين صيرها المعتز في قصر الرُصافة الذي فيه الحرم » .
 وقال ابن واضح البيهقي في كتاب البلدان : « والجانب الشرقي من بغداد نزله
 المهدي بن المنصور وهو ولي عهد أبيه وأبداً ببناءه سنة ثلاث وأربعين ومائة فاخترط =

خَمْرَة مَوْلَاة المقتدر بالله

جعفر بن المعتضد

وَأُمُّ وَلَدِهِ عَيْسَى ، حَكَى عَنْهَا ابْنُ أُنْبَهَا الْأَمِير أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَيْسَى حِكَايَةً ، أَخْبَرَنِي بِهَا الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيُّ عَنْ أَبِي الْقُرَجِ [عَبْدُ الْمُنْعَمِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ] الْخُرَّانِيُّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ : سَمِعْتُ الْأَمِيرَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ عَيْسَى الْمَقْتَدِرَ بِاللَّهِ قَالَ أَخْبَرْتَنِي وَالِدَتِي (٣٦) خَمْرَة جَارِيَةَ الْمَقْتَدِرِ بِاللَّهِ قَالَتْ : اسْتَدْعَى الْمَقْتَدِرُ بِالْجَوَاهِرِ^(١) فَاخْتَارَ مِنْهَا مِائَةَ حَبَّةٍ ، مِنْهَا خَمْسُونَ « مُدْخَرَج » وَنَظَمَهَا سُبْحَةً يُسَبِّحُ بِهَا ،

=المهدي قصره بالرصافة إلى جانب المسجد الجامع الذي في الرصافة ...» . «ص ١٩»
ثم قال : « وتنقسم طرق الجانب الشرقي وهو عسكر المهدي خمسة أقسام فطريق مستقيم إلى الرصافة [وهو] الذي فيه قصر المهدي والمسجد الجامع » . وذكره مؤلف مختصر مناقب بغداد قال - ص ٢٦ - : « ثم سوق الرصافة عظمة جامعة ثم شارع الترب وقصر المهدي وجامع الرصافة . . . » ، وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد - ج ١ ص ٨٢ - : « لما بنى المهدي قصره بالرصافة دخل يطوف فيه . . . » وقال أحمد بن يحيى ثعلب : « ورأيت المأمون لما قدم من خراسان في سنة ٢٠٤ وقد خرج من باب الحديد وهو يريد قصر الرصافة » « معجم البلدان ١ : ١٣٤ » ، وقال يحيى بن علي بن المنجم : « قال لي أبي : صرت إلى المستعين لما صير به إلى قصر الرصافة » : « ٥ : ٤٧٥ » ، وقال مروان بن أبي حفصة : « دخلت على المهدي في قصره بالرصافة » ، « الأغاني ١٠ : ٨٨ » ، وذكر ابن النجار أن الأمير عبد الواحد بن المقتدر توفي في قصر الرصافة سنة ٣٣٢ « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، الورقة ٨٣٠ » .

(١) في الأصل « استدعى الجواهر وهو خطأ » .

فَعَرَضَتْ عَلَى الْجَوْهَرِيِّينَ ، فَقَوَّموها كُلَّ واحدةٍ مِنْها أَلْفَ دِينَارٍ وَأَكْثَرَ ، فَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُسَبِّحَ اسْتَدْعَى بِها ، ثُمَّ يَرُدُّها إِلَيَّ فَأُعَلِّقُها فِي الْخِزَانَةِ فِي خَرِيطَةٍ فَلَمَّا قُتِلَ الْمُقْتَدِرُ وَوَقَعَ النِّهْبُ فَأُخِذَتْ^(١) فِي جُمْلَةٍ مِمَّا أُخِذَ ، فَلَعَلَّ الَّذِي أَخَذَها لَا يَدْرِي مَا هِيَ .

ذَكَرَ هِلَالُ بْنُ مُحَسِّنِ الْكَاتِبِ فِي تَارِيخِهِ^(٢) أَنَّ خَمْرَةَ جَارِيَةَ الْمُقْتَدِرِ تَوَفَّيَتْ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ ، وَتُقَلِّ مَعَهَا تَابُوتُ أَبْنِها^(٣) عَيْسَى فِدُفُنَا بِالتُّرْبِ الشَّرِيفَةِ^(٤)

(١) هَكَذَا وَرَدَ فِي الْأَصْلِ بزيادةِ الْفَاءِ فِي جَوَابِ « لِمَا » وَهُوَ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى سَبِيلِ التَّوْهَمِ .

(٢) لَمْ يَذْكُرْ هَذَا الْخَبَرَ فِي الْمَطْبُوعِ مِنْهُ الْمُلْحَقُ بِتَارِيخِ الْوُزَرَاءِ لِابْنِ الصَّبَّاحِيِّ هِلَالُ الْمَذْكُورِ ، فَهُوَ نَاقِصٌ يُوْرَخُ مِنْ سَنَةِ ٣٨٩ إِلَى سَنَةِ ٣٩٣ فَقَطْ .

(٣) فِي الْأَصْلِ « أَبْيِها » وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ .

(٤) تَقْدِمُ فِي تَرْجُمَةِ السَّيِّدَةِ « ضَرَّارُ وَالِدَةِ الْمُعْتَصِدِ » ص ١٠٤ « أَنَّها دَفَنْتْ بِتُرْبِ الرِّصَافَةِ ، قَالَ ابْنُ جَبْرِ فِي رِحْلَتِهِ - ص ٢٢٩ - : « وَبِالرِّصَافَةِ تَرْبَةُ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ » ، وَقَالَ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ فِي كَلَامِهِ عَلَى رِصَافَةِ بَغْدَادَ : « وَخَرِبَتْ تِلْكَ النِّوَاحِي كُلُّها وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجَامِعُ وَبَلِصْقُهُ مَقَابِرُ الْخُلَفَاءِ لِبَنِي الْعَبَّاسِ وَعَلَيْهِمْ وَقُوفٌ وَفَرَاشُونَ بِرِسْمِ الْخِدْمَةِ وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَخَرِبَتْ » ثُمَّ قَالَ : « وَبِرِصَافَةِ بَغْدَادَ مَقَابِرُ جَمَاعَةِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَعَلَيْهِمْ تَرْبَةٌ عَظِيمَةٌ بِعِمَارَةٍ هَائِلَةٍ الْمَنْظَرِ ، عَلَيْها هَيْبَةٌ وَجَلَالَةٌ إِذَا رَأَها الرَّأْيِيُّ خَشَعَ قَلْبُهُ ، وَعَلَيْها وَقُوفٌ وَخِدْمٌ مُرْتَبُونَ لِلنَّظَرِ فِي مِصَالِحِها وَبِها مِنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاضِي بْنُ الْمُقْتَدِرِ وَهُوَ فِي قَبَّةٍ مُفْرَدَةٍ فِي ظَاهِرِ سُورِ الرِّصَافَةِ ، وَحَدَّهُ ، وَفِي التَّرْبَةِ قَبْرُ الْمُسْتَكْنَى وَالْمَطْبِيعِ وَالطَّائِعِ وَالْقَادِرِ وَالْقَائِمِ وَالْمُقْتَدِي وَالْمُسْتَظْهَرِ وَالْمُقْتَنَى وَالْمُسْتَنْجِدَ . . . » . وَقَدْ أَحْرَقَتْ هَذِهِ التَّرْبَةُ أَوْ التُّرْبُ عِنْدَ احْتِلَالِ هُولاكو المَغُولِي لِبَغْدَادَ سَنَةَ « ٦٥٦ » . وَلَمَّا شَاهَدَ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ الْوَاعِظُ تَرْبَ الرِّصَافَةِ الْمَذْكُورَةَ وَقَدْ نَبَشَتْ قُبُورَ الْخُلَفَاءِ ، وَأَحْرَقَتْ تِلْكَ الْأَمَاكِنَ وَأَبْرَزَتْ الْعِظَامَ وَالرُّؤُوسَ كَتَبَ عَلَى بَعْضِ حِيطَانِها :

بالرُصافة ، وكانت كثيرة البرِّ والمعروف والعطاء للفقراء والمحاويج وأهل
(٣٧ط) الاستحقاق وذوى الحاجات وأهل البيوتات .

عَصْمَةُ^(١) خاتون بنت مَلِكْشَاه

ابن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، وكانت رئيسة
جليلة ، من أعقل النساء وأشدَّهن حَزْماً وسَدَاداً . تزوجها الإمام
المُستظهر بالله - رضى الله عنه - وهي بأصبهان فى سنة اثنتين وخمسمائة ،
وجاءت إلى بغداد وسكنت بدار الخلافة ودخل بها وولدت له أبا إسحاق
إبراهيم فى ثانى شعبان سنة خمس وخمسمائة ، وتوفى بأجدرى فى جمادى
الأولى من سنة ثمان وخمسمائة ودفن فى تربة الإمام المقتدر بالله بالرصافة
إلى جنب عمِّه جعفر^(٢) بن المقتدى . ثم إن عصمة خاتون عادت إلى

= إن تُرد عبْرَةٌ فتلك بنو العباس حلت عليهم الآفات
استبيح الجريم إذ قُتل الأحبياء منهم وأُحرقَ الأموات
« كتاب الحوادث ص ٣٣٧ » طبعة المعلق على هذا الكتاب مصطفى جواد .
(١) أخبارها فى المنتظم « ٩ ، ١٥٩ ، ١٦٥ ، ٢٤٥ » . و « ١٠ : ٢ » ،
٢٧ ، ٦٠ ، ٧٨ ، ١٠٠ » و « مرآة الزمان لسبط بن الجوزى » مختصر الجزء الثامن
٢٧ ، ٣٤ ، ١١١ ، ١٤١ ، ١٦٤ ، ١٦٩ » والكامل فى حوادث سنة « ٥٠٢ »
وغيرها ، وسيدات البلاط العباسى « ص ١٤٦ » ، والظاهر أن المؤلف سيكرر
ترجمتها باختصار باسم « خاتون زوجة المستظهر » ، ولها ذكر فى النجوم الزاهرة
« ٥ : ٣٢٣ » .

(٢) كنيته أبو الفضل وسيأتى ذكره وذكر والدته « ما ه ملك بنت ملكشاه
السلجوقية » فى الترجمة الآتية التالية لهذه ، وورد ذكره فى المنتظم « ٩ : ٣٨ ، ٤٧ ،
٥٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٧ » والكامل فى حوادث سنة « ٤٨٢ » وسنة « ٤٨٧ » وهى =

أصبهان بعد وفاة الإمام المستظهر ، وتوفيت ودُفنت في مدرستها التي
بشارع سوق العسكر ، وليس في الدنيا مدرسة أكبر منها ، وكانت قد
وقَّعتها على أصحاب الإمام أبي حنيفة — رحمة الله عليه — وبلغني أنها قد [٣٧]
خربت في يومنا هذا وليس لها باب ولا يمكن سكنها .

ماه ملك^(١) بنت السلطان ملكشاه

ابن السلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق . خطبها
الإمام المقتدى بأمر الله ، ونَقَدَ أبا نصر^(٢) بن جَهِير في الخطبة إلى والدها

=سنة وفاته، وقد ذكر ابن الأثير أن المحلة الجعفرية ببغداد الشرقية نسبت إليه، وتعرف
هذه المحلة اليوم ببغداد باسم « محلة قنبر على وتحت التكية » .

(١) لم أجد اسمها في غير هذا الكتاب ، وأخبارها في المنتظم « ٩ : ٢ ،
٣٦ ، ٤٤ ، ٤٧ » والكامل في حوادث سنة « ٤٧٤ » وسنة « ٤٨٠ » وسنة « ٤٨١ »
وسنة « ٤٨٢ » وهي سنة وفاتها بأصبهان ، ولها ذكر في النجوم الزاهرة « ٥ : ٢٠٠ »
وأما تركان خاتون الآتي ذكرها .

(٢) ذكر ذلك أيضا عماد الدين الأصفهاني في أخبار الدولة السلجوقية « ص ٦٧
طبعة القاهرة » . هو أبو نصر محمد بن محمد التغلبي الوزير الخطير الشهير .
ترجمته في الوفيات « ٢ : ١٧٩ طبعة بلاد العجم » ، والوفاء بالوفيات ج ١ : ٢٧٢ «
والمنتظم « ٩ : ٥٤ وغيرها » والكامل في سنة « ٤٨٣ » وهي سنة وفاته وفي غيرها مع
الحوادث ، والتاريخ الفخري « ص ٢١٨ » وتلخيص معجم الألقاب لابن الفوطى
الجزء الرابع ، الورقة ٣٣٨ من نسخة المتحف العراقي المصورة « والنجوم الزاهرة
« ٥ : ١٣٣ » والشذرات « ٣ : ٣٦٩ » وأشار إليه السمعاني في « الجهيري » من
الأنساب ، وقال ابن خلكان : وجهير بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة
من تحتها وبعدها راء ، وقال السمعاني : بضم الجيم وهو غلط قال
مصطفى جواد محقق هذا الكتاب ، إن الوارد في الأنساب في « الجهيري » أنه بفتح
الجيم وكذلك ما في مختصره « الباب » لابن الأثير ، فالظاهر أن النسخة التي =

وهو بأصبهان في شوال سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، فأجاب إلى ذلك ،
وعُقد العقدُ هناك ، ونُقلَ جهازُها إلى بغداد على مائة وأربعين جملًا^(١) ،
ومائة بغل . ودخلت بغداد في ذي الحجة سنة تسع وسبعين [وأربعمائة]
(٣٨ ط) وزُفَّت إلى الخليفة في صفر سنة ثمانين ، ودخلت به ، وولدت له جعفرًا
في رابع ذي القعدة من السنة ثم إنه أعرض عنها ، فطلبت العودَ إلى
بلادها ، فأذن لها ، فخرجت من بغداد في سادس عشر شهر ربيع الأول
من سنة اثنتين وثمانين متوجهة إلى خراسان ومعها ابنها الأمير أبو الفضل
جعفر ، فوصل الخبر بموتها إلى بغداد . ودخل والدها السلطان ملكشاه
بغداد في شهر رمضان سنة خمس وثمانين [وأربعمائة] مريضاً ، ومعه
سبطه الأمير أبو الفضل جعفر بن الإمام المقتدى بأمر الله ، فأقام ملكشاه
أياماً ، وتوفي في النصف من شوال من السنة ، وأُعيد الأمير أبو الفضل
إلى دار الخلافة ، فأقام بها إلى أن توفي في الثالث والعشرين من جمادى
(٣٨ ط) الأولى سنة ست وثمانين وأربعمائة ، ودفن بالتُّرب الشريفة بالرصافة ..

خاتون زوجة الإمام المستظهر بالله

كانت حظيةً عنده . توفيت في سنة ست وثلاثين وخمسمائة ،

=وقعت إلى ابن خلكان قد تصحف فيها « بفتح » إلى « بضم » لتقارب صورتيهما
إلا أن قول السمعاني « وكسر الهاء » ينفي أن ينسب إليه أنه قال « بضم الجيم »
نفياً باتاً .

(١) في الأصل « أربعمائة جمل وأربعين جملًا » والتصحيح من الكامل .

وكانت دارها حَمَى، ولها ولأصحابها الهيبة العظيمة .

بَنَفْشَا^(١) بنت عبد الله الرُّومِيَّة

مولاة الإمام المستنصر بأمر الله - رضى الله عنه - . كانت من خواصه وسراريَّة، لها المكانة الرفيعة عنده، والمنزلة العالية، والحكم النافذ، والأمر والنهي، وكانت صالحة، كثيرة الخير، فائضة المعروف، متفقدة للفقراء والمساكين، كثيرة الصدقة والبر، جَعَلَتْ دارها^(٢) بأسفل البلد على شاطئ دجلة مدرسة، وَوَقَفَتْها على الحنابلة، ووقفت عليها

(١) مختصر الجزء الثامن من مرآة الزمان « ص ١٩٥ ، ٣٢٦ ، ٣٤٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٤٣٨ ، ٥١٠ » والكامل في سنة « ٥٩٨ » وهي سنة وفاتها ، والمنتظم « ١٠ : ١٢٤ ، ٢٥٠ ، ٢٧١ » والتكملة لوفيات النقلة تأليف زكى الدين عبد العظيم المنذرى المصرى « نسخة المجمع العلمى العراقى المصورة ، الورقة ٢٩ » وتاريخ الإسلام للذهبي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١١٠ » والجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير « ٩ : ٨٨ ، ١٣٦ » ومجلة المجمع العلمى العربى « ج ١٨ ص ٤٧٠ » وذيل الروضتين لأبى شامة « ص ٢٧ ، ٢٩ » وسيدات البلاط العباسى « ص ١٦٣ » ولها ذكر فى نكت الهميان فى نكت العميان للصغدي ص ٩٣ . والحوادث « ص ١٣٢ » وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ١ : ٣٤٠ طبعة القاهرة .

(٢) ورد ذكر هذه الدار فى المنتظم « ١٠ : ١٢٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ » ومختصر مرآة الزمان « ٨ : ١٩٥ ، ٣٢٦ » وذكرها ابن جبير فى رحلته « ص ٢٢٠ » ظاناً أنها دار أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى مع أنها مدرسة بنفشى المذكورة وكان يسكن فيها لأنه كان مدرستها يومئذ أى سنة « ٥٨٠ » هـ وتعرف أيضاً بالمدرسة الشاطئية كما جاء بخط ابن الجوزى المذكور فى كتاب « الأنساب المتفقة فى الخط المتماثلة فى النقط والضبط » لمحمد بن طاهر المقدسى « ص ١٣ من المقدمة طبعة ليدن » ، وكتاب « الحوادث ص ٨٧ » والوفى بالوفيات « نسخة دار الكتب =

(٣٨ ط) وقوفاً ، وبنت قنطرةً على نهر عيسى^(١) ، وعقدت جسراً على دجلة ، وبني لها الإمام المستضيء بأمر الله داراً^(٢) مجاورة لباب الغربية^(٣) الشريف^(٤)

=الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٠٢ . وقد جاء ذكرها في تصديرنا لكتاب «تكملة إكمال الإكمال» لجمال الدين محمد بن علي المحمودي المعروف بابن الصابري «ص ١٦» .
(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « نهر عيسى بن علي بن عبد الله ابن العباس ومأخذه من الفرات عند قنطرة دميماء ثم يمر فيسقي طسوج فيروز سابور حتى ينتهي إلى المحول ثم تتفرع منه أنهار تتخرق مدينة السلام ثم يمر بالياسرية ثم قنطرة الرومية وقنطرة الزياتين وقنطرة الأشنان وقنطرة الشوك وقنطرة الرمان وقنطرة المغيض عند الأرحاء ثم قنطرة البستان ثم قنطرة العبدى ثم قنطرة بنى زريق ثم يصب في دجلة عند قصر عيسى ، وكان عند كل قنطرة سوق تعرف بها ، الآن [٦٢٦ هـ] ليس من ذلك غير قنطرة الزياتين وقنطرة البستان وتعرف بقنطرة المحدثين وهو نهر عليه متنزهات وبساتين كثيرة وقد قالت الشعراء فيه فأكثر » وأكثر هذا مأخوذ من تاريخ الخطيب البغدادي « ١ : ١١١ » وأكثر ما في تاريخ الخطيب مأخوذ من كتاب أنهار العراق لابن سرافيون « ص ١٤ » وأعلى هذا النهر كان يسمى « نهر الرقييل » وفي مادة « نهر الرقييل » من مراصد الاطلاع على الأمكنة والبقاع لعبد المؤمن البغدادي زيادة إيضاح لنهر عيسى . ومحلة نهر عيسى اليوم تسمى « محلة السوق الحديد » في الجانب الغربي من بغداد ، وآخر النهر كان يسمى « المسعودي » إلى آخر أيام الحكم العثماني ببغداد .

(٢) قلت : تسمى « دار سوق التمر » قال ياقوت الحموي : « دار سوق التمر : وهي الدار التي قرب باب الغربية من مشرعة الإبريين ، ذات الباب العالي جداً وهو الآن مسدود وتعرف بالدار القطنية » . وفي مراصد الاطلاع « دار سوق التمر هي الدار المتصلة بباب الغربية ومن الجهة الأخرى بالبدرية وهي دار عظيمة من دار الخلافة مشرفة على مشرعة الإبريين لها باب عال ودركاء في صدر المخاطيين » . وذكرها مؤلف الحوادث في ترجمة الأمير قشتمر الناصري قال : « ونقله الناصر إلى الدار المنسوبة إلى بنفشأ مجاورة باب الغربية » . « ص ١٣٢ » وقد هنا المستضيء بافتتاحها شاعر عصره محمد بن عبيد الله المعروف بسبط ابن التعاويذي بقصيدة مذكورة في ديوانه « ص ٤٥٢ » .

(٣) كان أحد أبواب دار الخلافة العباسية بالجانب الشرقي من بغداد ، وكان أعلى الأبواب « راجع مادة الحريم » من معجم البلدان و« الغربي » من أنساب السمعاني .
(٤) في الأصل « الشريفة » والباب مذكور عند الفصحاء .

على شاطئ دجلة ، فجاءت عالية البناء ، واسعة الفناء ، تشتمل على مقاصير وحجرات ومناظر ومُتَنَزَّهَات^(١) ، ويجاور هذه الدار أربعة دواليب^(٢) تستقى^(٣) الماء من دجلة إلى دار الخلافة المعظّمة ، كل واحد منها أعلى من الآخر ، فيأخذ الأول من دجلة ، والثاني من الأول ، والثالث^(٤) من الثاني ، والرابع من الثالث . ولما تمت هذه الدار أمرت بإنشاء جسر جديد يُنصب بين يدي هذه الدار إلى باب الرقّة^(٥) بالجانب الغربي ، فصار ذلك فرجة الأنام ، ومتنزه الخاص والعام أُشيدت لبعض الشعراء :

[٣٩]

لَيْسَ شَيْءٌ يُشَاكِلُ الْحُسْنَ فِي الْجِدِّ مَرٍّ وَمَا إِنَّ لِحُسْنِهِ مِنْ مُوَازِي
دِجْلَةٌ تَحْتَهُ كَمَثَلِ بَسَاطٍ أَزْرَقٍ مُعْلَمٍ بِفَرْدٍ طِرَازٍ
وتكامل بناء هذه الدار ، وتمت عمارتها في سنة تسع وستين وخمسمائة ، وبنت مسجداً^(٦) كبيراً يسوق الخبازين^(٧) قريباً من العقد الحديد .

(١) في الأصل « مستنزهات » .

(٢) في الأصل « أربع » .

(٣) في الأصل « تسقى » .

(٤) في الأصل « والثاني من الثالث » .

(٥) وهي بستان الخلفاء على دجلة مقابل دار الخلافة في الغرب « راجع الأنساب للسمعاني في الرقي » .

(٦) ذكر هذا المسجد أبو الفرج بن الجوزي في حوادث سنة « ٥٧٣ هـ » قال - ج ١٠ ص ٢٧٢ - : « وأنشأ أمير المؤمنين [المستضيء بأمر الله] مسجداً كبيراً في السوق [سوق الثلاثاء] عند عقد الحديد ، وتقدم بعمارته فعمر عمارة فائقة ، وكسى وقدم فيه عبد الوهاب بن العيبي زوج ابنتي ، فصلى فيه بعد النصف من شعبان وأجريت له مشاهرة ... » . وقال المؤرخ محمد بن سعيد بن الديبني الواسطي في ترجمة العيبي هذا : « وأقرأ القرآن الكريم وأمّ بالناس في الصلوات =

وسمعتُ أنها كانت في عيد الفطر في كل سنة تُخرج زكاة الفطر صاعاً من تمرٍ ثم تقول : هذا ما فرضه الشرع عليّ وأنا لا أقنع من مثلي بهذا . فتُخرج صاعاً من الذهب العَيْن، وتَأْمُرُ بتفرقة على الفقراء . وأعتقت خلقاً من الموالى : الجوارى والمماليك . توفيت يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، وصُلِّيَ عليها بعد صلاة العصر بصحن السلام من دار الخلافة وُحِمِلَتْ في الماء إلى الجانب الغربي فصُلِّيَ (٣٩ظ) عليها بباب تربة الجهة السعيدة والدة^(١) الإمام الناصر لدين الله - رضى الله عنه - المجاورة لمعروف الكرخى - رحمة الله عليه - ثم دفنت

=بالمسجد الذى أنشأته بنفسها عند عقد الحديد . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ١٥٦ » . وقال ابن النجار في ترجمته : « وكان يصلى إماماً بالمسجد الحديد بسوق الحبازين عند عقد الحديد . » « نسخة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ، الورقة ٦٠ » وورد مثل هذا القول في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ١ : ٨٨ طبعة القاهرة » ، والظاهر أن سوق الحبازين كان مجاوراً لدرب الحبازين الوارد ذكره في منتخب المختار من ذيل تاريخ ابن النجار « ص ٧٤ » ويعرف اليوم بدرب العاقولية بشرقي بغداد ، ويعرف بسوق الحيدرخانة ، ولعل المسجد المذكور هو أصل مسجد الحيدرخانة الحالى في السوق المذكورة .

(١) هى زمرد خاتون ، والظاهر أن المؤلف ذكرها في كتاب « أخبار من أيدركت خلافة ولدها » ولها ترجمة في الكامل في حوادث سنة « ٥٩٩ » وهى سنة وفاتها ، وفي مختصر مرآة الزمان « ٨ : ٥١٣ » وذيل الروضتين « ص ٣٣ » وتاريخ الإسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١١٧ » والتكملة لوفيات النقلة « نسخة المجمع العلمى العراقى المصورة ، الورقة ٤٠ » ، والوافى بالوفيات « نسخة دار الكتب بباريس ٢٠٦٤ الورقة ٨٥ » ، وتربتها لا تزال قائمة بجوار تربة معروف الكرخى وتعرف بالسبت زبيدة ، وذكر هندوشاه الصاحبى في تاريخه « تجارب السلف » بالفارسية أنها حجت سنة ٥٨٥ « ص ٣٢١ » .

داخل التربة المذكورة ، وذلك قبل وفاة صاحبة التربة أم الإمام
الناصر لدين الله - رضى الله عنهما - .

شرف* خاتون التركية

عتيقة الإمام المستضيء بأمر الله - رضى الله عنه - ، وأم ولد
الأمير أبي منصور هاشم ، كانت امرأة صالحة ، توفى مولاها الإمام
المستضيء بأمر الله وهى فى الحياة ثم ولدها الأمير أبو منصور وعاشت
بعده مدة طويلة ، وتوفيت عشية الثلاثاء تاسع عشر رجب من سنة ثمان (٤٠٠هـ)
وستمائة ، وصلى عليها يوم الأربعاء بصحن السلام ، ودُفنت بتراب الرصافة
- رحمها الله - .

سلجوقى^(١) خاتون

بنت السلطان قلج أرسلان بن مسعود ملك الروم ، زوجة الإمام
الناصر لدين الله - رضى الله عنه - ، قدمت بغداد طالبة للحج فى

* لم أقف لها على ذكر فى كتاب آخر .

(١) عرفت بالأخلاقية والحلاطية ، ذكرها ابن الأثير فى حوادث سنة
« ٥٨٤ » وهى سنة وفاتها باسم « سلجوقه خاتون » وذكرت فى مختصر مرآة الزمان
« ج ٨ ص ٦٨٧ » ، وجاء ذكرها فى تاريخ الإسلام للذهبي باسم « سلجوقى خاتون »
كما فى نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١٥ « وكذلك فى الوافى
بالوفيات » نسخة دار الكتب المذكورة ٢٠٦٦ الورقة ١٥٣ « وجاء فى ديوان سبط =

مَوْسِمِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَحَجَّتْ وَعَادَتْ إِلَى بِلَدِهَا سَنَةَ ثَمَانِينَ
 وَخَمْسِمِائَةٍ فَأَقَامَتْ هُنَاكَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا ثُمَّ خَطَبَهَا الْإِمَامُ النَّاصِرُ
 لَدَيْنَ اللَّهِ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - فَرُؤِجَتْ مِنْهُ ، وَأَتَقَدَّزَ إِلَيْهَا مِنْ (١) جَاءَ
 بِهَا ، وَدَخَلَ بِهَا وَأَعْطَاهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ وَتُخَفِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ
 مَا لَا تُعْرِفُ قِيَمَتَهُ ، وَصَادَفَتْ مِنْهُ قَبُولًا عَظِيمًا ، فَأَقَامَتْ عِنْدَهُ مُدَّةَ
 (٤٠ ظ) يَسِيرَةٍ فِي أَرْغَدٍ عَيْشٍ وَأَصْفَاءٍ ثُمَّ عَاجَلَهَا رَيْبُ الْمَنُونِ فَاسْتُلِبَتْ مِنْ
 غَضَارَتِهَا وَنَعِيمِهَا وَلَحِقَتْ بِالْعَاكِرِينَ (٢) . وَوَجَدَ النَّاصِرُ لَدَيْنَ اللَّهِ مِنْ
 الْحُزْنِ عَلَيْهَا وَالْأَسَفِ عَلَى فِرَاقِهَا مَا مَنَعَهُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ أَيَّامًا ،
 وَتُرِكَتْ دَارُهَا (٢) بِمَجْمِيعِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَقْمِشَةِ وَالْأَثَاثِ عَلَى حَالِهَا سِنِينَ
 عَدِيدَةً لَا تُفْتَحُ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا شَيْءٌ .

= ابن التعاويدي - ص ٢٢٢ - « قال يرثي الجهة الشريفة سلجوكي خاتون ابنة
 السلطان قلع أرسلان بن مسعود نور الله ضريحهما » . يقول فيها :
 فيا قبر ما بين الصراة ودجلة إلى نهر عيسى جادك الغيث من قبر
 وذكرها ابن جبير في رحلته وكان قد حج بيت الله الحرام في سنة حجها إياه .
 ص ١٨٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، وهند وشاه الصاجي في تاريخه « تجارب السلف »
 بالفارسية « ص ٣٢١ » وقد ذكر ثلاثة أبيات من مراثية سبط ابن التعاويدي لها .
 (١) قال الذهبي في تاريخ الإسلام « ومضى لإحضارها الحافظ يوسف
 ابن أحمد » ثم ذكر ترجمة هذا الحافظ الشيرازي الأصل الصوفي المذهب في وفيات
 سنة ٥٨٥ « الورقة ٢٥ » وذكر الخبر الأول الصفدي في الوافي بالوفيات .
 (٢) هذا هو الصواب وإن جاز بالغين المعجمة على سبيل الأضداد وهو
 من قولهم « عَبَّرَ فلان أي مات ، وضده « غَبَّرَ أي بقي » .

(٣) قال علي بن أبي الفرج البصري في « المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية » :
 وما يروى عن الناصر أنه لما توفيت خاتون بنت أرسلان الخلاطية أغلق الموضع الذي
 كانت تسكنه وفيه آلات الذهب والفضة » . « نسخة دار الكتب الوطنية ببغداد »
 ٥٧٦٢ الورقة ١٤٣ .

وكانت قد اختارت أن تُنشىء تربةً إلى جانب مشهد^(١) عون ومعين
ولدى عليّ - عليه السلام - بالجانب الغربي في مَشْرَع الكرخ
لتُدفن فيها إذا ماتت فشُرِع في بنائها، فلم تصعد حيطانها قامة حتى
أدركها أجلها فدُفنت^(٢) فيها وتمَّ بناؤها، ووَقِّعت فيها خزانة^(٣) من

(١) قال ابن جبير في رحلته في وصف الجانب الغربي من بغداد : ، وفي
الطريق إلى باب البصرة مشهد حفيل البنيان ، متسع السنام عليه مكتوب (هذا
قبر عون ومعين من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه) . وقال
سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان في تعداد أبنية الخليفة الناصر لدين الله « ذكر
عماراته : رباط الأخلاطية والتربة . . . وتربة عون ومعين عند تربة الأخلاطية »
« مختصر ج ٨ ص ٦٣٧ » . وأخطأ الصلاح الصفدي فنسب عمارات الناصر ومنها
مشهد عون ومعين إلى ابنه محمد الظاهر « نكت الهميان ص ٢٣٨ » . والوافي
بالوفيات « ٩٥ : ٢ » وذكر هذا المشهد في معجم الأدباء لياقوت « ٦ : ٢٣٠ »
والجامع المختصر « ٩ : ٢٥٩ ، ٣٩٥ » وغيرهما .

(٢) قال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٨٤ من الكامل : « وبني الناصر على
قبرها تربة بالجانب الغربي وإلى جانب التربة رباطه المشهور بالرملة » وذكر سبط
ابن الجوزي أن الناصر لدين الله ولي الشيخ عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلاني المظالم
وتربة الخلاطية فيما ولاه . « مخ ج ٨ ص ٤٥٤ » وذكر هذه التربة « نيبور » السائح
الدانمركي في رحلته وقد دخل بغداد سنة ١٧٦٦م = ١١٨٠هـ وكان اسمها قد عفا
من تربتها وبقي فيها ما نصه . . . « الملك العادل قليج أرسلان بن الملك مسعود
ابن العادل قلع أرسلان من طائفة سلجوق وذلك سنة أربع وثمانين وخمسمائة » وهي
سنة وفاتها كما قدمنا . « رحلة نيبور ج ٢ ص ٢٤٤ من النسخة الفرنسية » وقد ظن
هذا الرحالة أنها من إنشاء قلع أرسلان ! ! وقد جرفت دجلة التربة والرباط الآتي
ذكره قبل زهاء مائة سنة ، وهذا الموضع يسمى اليوم شريعة الخضر إلياس في محلة
الجعيفر ، وقد فصلنا الكلام على هذه التربة والرباط المذكور بعدها في مجلة سومر
« مج ١٠ ج ٢ ص ٢٣٤ » .

(٣) قال كمال الدين عمر بن العديم الحلبي صاحب دفع التجري عن
أبي العلاء المعري في ترجمة « الأعسر بن مَهَارِش الكلابي » : « قرأت الحكاية في
مجموع عتيق مكتوب في أيام سيف الدولة أو قريب من عصره وشاهدتها في المجموع =

(٤١) الكتب النفيسة ، تُعَارُ لِمَنْ طَلَبَهَا بِالرَّهْنِ ، وَأَنْشَأَ الْإِمَامُ النَّاصِرُ لَدِينِ اللَّهِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — إِلَى جَانِبِ تُرْبَتِهَا رِبَاطًا^(١) مَلِيحَ الْبِنَاءِ ، وَاسِعَ الْقِنَاءِ ، وَوَقَفَهُ عَلَى الصُّوفِيَّةِ ، وَغَرَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ بُسْتَانًا أَنْيَقًا يُشْرِفُ عَلَى دَجَلَةٍ وَيُسْقَى بِدَوْلَابٍ مِنْ مَائِهَا ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ وَعَلَى تُرْبَتِهَا أَوْقَانًا كَثِيرَةً ، غَزِيرَةَ النُّمُوِّ وَالِدَّخْلِ ، وَأَمَرَ أَنْ يُحَجَّ عَنْهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَيُخْرَجَ مِنَ الصَّدَقَاتِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَاءِ وَالزَّادِ وَالْكُسُوفَةِ وَالنُّعَالِ وَأَدْوِيَةِ الْمَرْضَى ، وَيُحَجَّ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ .

قَرَأْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ^(٢) : تَوَفَّيْتُ سَلْجُوقِي خَاتُونَ زَوْجَةَ الْخَلِيفَةِ فِي لَيْلَةِ الْاِثْنَيْنِ ثَانِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهَا فِي التَّاجِ ، وَقَعَدَ لَهَا فِي الْعَزَاءِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي تُرْبَتِهَا ،

= عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي أَذْكَرَهَا بِخَطِّ بَعْضِ الْأَخْبَارِيِّينَ فِي جُزْءٍ وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي وَقْفِ الْإِمَامِ النَّاصِرِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بِالْخِلَاطِيَّةِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ بِبَغْدَادَ . « بَغْيَةُ الطَّلَبِ فِي تَارِيخِ حَلَبَ » ، نَسْخَةٌ دَارِ الْكُتُبِ الْوُطْنِيَّةِ بِبَارِيسَ ٢١٣٨ الْوَرَقَةُ ١٧٠ « وَقَالَ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ فِي تَرْجُمَةِ عَلِيِّ بْنِ فَضَالٍ إِنَّ لَهُ « كِتَابَ الدُّوَلِ فِي التَّارِيخِ » ، رَأَيْتُ فِي الْوَقْفِ السَّلْجُوقِيِّ بِبَغْدَادَ مِنْهُ ثَلَاثِينَ مَجْلَدًا وَيَعُوزُهُ شَيْءٌ آخَرُ » .

(١) ذَكَرَ الْقَفْطِيُّ أَنَّ الَّذِي اخْتَارَ الْكُتُبَ لِهَذَا الرِّبَاطِ هُوَ بَرَهَانَ الدِّينِ أَبُو الرَّشِيدِ مَبْشَرُ بْنُ أَحْمَدَ الرَّازِي الْبَغْدَادِيُّ « تَارِيخُ الْحُكَمَاءِ » ص ١٧٧ « وَقَدْ فَصَّلْنَا الْكَلَامَ عَلَى هَذَا الرِّبَاطِ فِي مَجْلَةِ سُومَرِ » مَج ١٠ ج ٢ ص ٢٣٤ .

(٢) لَمْ أَجِدْ هَذَا الْخَبَرَ فِي تَارِيخِهِ « الْمُنْتَظَمِ » وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُوْجَدَ فِيهِ لِأَنَّهُ انْتَهَى بِسَنَةِ « ٥٧٤ » ، قَالَ سَبْطَةُ فِي مِرْآةِ الزَّمَانِ فِي حَوَادِثِ هَذِهِ السَّنَةِ « انْتَهَى تَارِيخُ جَدِّي الْمُسَمَّى بِالْمُنْتَظَمِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَهُ تَارِيخٌ صَغِيرٌ سَمَاهُ (دُرَّةُ الْكَلِيلِ) ذِيلٌ فِيهِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى أَنْ حُمِلَ إِلَى وَاسِطٍ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَقْصِ الْحَوَادِثَ . . . » . « مَخ ج ٨ ص ٣٥٣ » . فَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الْخَبَرَ مِنْ دُرَّةِ الْكَلِيلِ .

وحضر الوزير والأكابر والأمرء والعلماء ، وقعدوا ليالى الجمع والأثانين ،
وفرق مال ، وأثر موتها فى دار الخليفة أثراً عظيماً ، رحمها الله .

شاهان^(١) مولاة الإمام المستنصر بالله

أبى جعفر المنصور - قدس الله روحه - ، كانت جارية رومية على
ملك ختاختون^(٢) بنت الأمير سنقر الطويل الناصرى زوجة الأمير
جمال الدين بكلك^(٣) الناصرى . اعتنت بتأديبها وتربيتها ، وشملتها

(١) لم أجد لها ذكراً فى كتب التاريخ والأدب التى وصلت إليها يدي ،
سوى كتاب « العسجد المسبوك فى تاريخ دولة الإسلام والملوك » لعلى بن الحسن
الخرجى قال فى حوادث سنة « ٦٥٢ هـ » : « وماتت ابنة شاهان حظية الإمام
المستنصر بالله ، وكان لها عنده المنزلة الرفيعة والمقام الذى لا يصل إليه غيرها ، وكان
لها باب وديوان ووكلاء ، وحكمت فى الديوان وأقطعت القرى والعقارات السنية .
قال ابن الخازن : عمل صاحب ديوانها حسبة شهرية لما أطلق فيه إلى الباكورة والزرا كشة
والصاغة والتجار والبزازين والجوهرين وأرباب الصنائع على اختلاف صنائعهم ،
فى وجوه البر والصدقات ما يزيد على مائة ألف دينار وخمسمائة ألف درهم ونيف
وستين درهماً . وكانت وفاتها فى شوال من السنة المذكورة ، وصلى عليها الوزير
[مؤيد الدين محمد بن العلقمى] وكافة أرباب الدولة وحملت إلى الرصافة » .
« نسخة المجمع العلمى العراقى المصورة ، الورقة ١٨٣ » .

(٢) ورد ذكرها فى الجامع المختصر « ٩ : ٢٨ ، ٤٦ ، ١١٠ ، ١٢١ ،
٢٧٥ » أمها قطر الندى بنت عبد الله التركية ، وسيدكرها المؤلف فى أثناء كلامه
على سيرة « شاهان » .

(٣) الظاهر أنه تزوجها بعد وفاة زوجها الأول علم الدين قزل المتوفى سنة
« ٦٠٥ هـ » . « الجامع المختصر ٩ : ٤٦ ، ٢٧٥ » وتلخيص معجم الألقاب
« نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ج ٤ و ٦٨ » ، أما زوجها بكلك فقد ورد ذكره فى
الجامع المختصر أيضاً « ٩ : ١١٠ » ووردت أخباره فى التاريخ الذى سميناه
« الحوادث الجامعة » استرجاحاً « ص ٤٤ ، ١١١ » ، و « نزهة الأنام فى تاريخ » .

بعنايتها ، فظهرت عليها آثار السعادة ومخايل النجابة ، فلما بويع الإمام
 (٤٢٠) المستنصر بالله أهدتها له في جملة جوار ، فحُظِيَتْ عنده من بينهم وتقدّمت
 وصارت لها المنزلة الرفيعة والمكانة العالية والمقام الذي لا يصل إليه غيرها
 من القرب والاختصاص ، وصار لها باب مُفَرَّد وديوان ووكلاء ونواب
 وخدم وحاشية جميلة ، وأُمِرِجَتْ في الأموال تتصرّف فيها على حسب
 إيثارها واختيارها ، وتأمّر وتنهى بأتمّ أمر وأتقذّ حكم . حدثني بعض
 نواب ديوانها أنها عمِلَتْ حِسْبَةً شَهْرِيَّةً لِمَا أُطْلِقَ فِيهِ إِلَى السَّنَاكِرَةِ (١)
 والزرا كشة والصّاعَة والتجار والبرّازين والجوهرتين (٢) وأرباب الصّنائع
 على اختلاف صنائعهم مائة ألف دينار وخمسة آلاف (٣) وثلاثمائة
 (٤) ونيف وستون ديناراً . وكانت كثيرة البرّ والمعروف والتفقد للفقراء
 والأرامل والأيتام ، دأبة الصدقات ، مائلة إلى الخير ، راغبة في فعله ،

=الإسلام» لإبراهيم بردقماق « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٩٧ الورقة ٢٤ »
 وشذرات الذهب « ٥ : ١٧٠ » . قتل في وقعة بين الجيش العباسي والجيش المغولي
 في شرق العراق سنة ٦٣٥ هـ وإليه نسب « قطب الدين أبو المظفر سنجر بن عبد الله
 البكلكي الملقب بزريق الذي قتله المغول في هجومهم على بغداد بقيادة هولاكو
 سنة ٦٥٦ » تلخيص معجم الألقاب ٤ : ٤٠٨ من نسخة المكتبة الظاهرية .

(١) كذا وردت في الأصل ، وقد نقلناها من تاريخ الخزر جي بصورة
 « الباكرة » ولم نقف على معناها ، ولعلّ أصلها « البنادرة جمع البندار قال ابن
 السمعاني في البندار من الأنساب « البندار ... هذه النسبة إلى من يكون مكثراً من
 شيء يشتري منه من هو أسفل منه أو أخف حالاً وأقل مالاً ثم يبيع ما يشتري
 من غيره وهذه لفظة أعجمية . . . » .

(٢) في الأصل « والجوهرين » .

(٣) في الأصل « ألف » على عادتهم في الاختزال .

مُحِبَّةٌ لِأَهْلِهِ . وَلَمَّا تَوَفَّى مَوْلَاهَا الْإِمَامَ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ - كَرَّمَ اللَّهُ مَثْوَاهُ
وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ - وَبُويعَ وَلَدُهُ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا الْإِمَامَ الْمُسْتَعَصِمَ بِاللَّهِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَيْدَى اللَّهُ شَرِيفَ دَوْلَتِهِ الْقَاهِرَةَ ، وَبَلَغَهُ آمَالُهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ - أَجْرَاهَا عَلَى عَادَتِهَا فِي الْإِكْرَامِ ، وَوَفَّرَ نَصِيبَهَا مِنَ التَّجْجِيلِ
وَالْإِعْظَامِ ، وَتَقَلَّهَا بِجَوَارِيهَا^(١) وَخَدَمِهَا ، وَأَتْبَاعِهَا وَحَشَمِهَا ، إِلَى الدَّارِ الَّتِي
نَشَأَتْ بِهَا عِنْدَ سِتِّهَا ، الْمَعْرُوفَةِ بِدَارِ بَنْفَشَا ، الْمُجَاوِرَةِ لِبَابِ الْغُرْبَةِ الشَّرِيفِ .
وَقَدْ ذَكَرْتُ تَارِيخَ بِنَاءِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الْأَيَّامِ الْمُسْتَضِيئَةِ لِلجَّهَةِ بِبَنْفَشَا ثُمَّ فِي
الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ - سَقَى اللَّهُ عَهودَهَا صَوْبَ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ - حَيْثُ^(٢) (٤٣) (و)
أُنْعِمَ بِسُكْنَى هَذِهِ الدَّارِ عَلَى خَتَاخَاتُونِ^(٢) بِنْتِ سُنْقُرِ الطَّوِيلِ النَّاصِرِيِّ ،
أُضِيفَ إِلَيْهَا مَا كَانَ يُجَاوِرُهَا مِنَ الْخَانَاتِ وَالْأُتُورِ ، وَأُنْشِئَ^(٣) فِيهَا
بُسْتَانٌ ، وَتَقَلَّ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْجَارِ ، فَصَارَ يَنْعُ الثَّمَارُ ، مَلِيحُ الْأَزْهَارِ .
وَأُجْرِيَتْ إِلَيْهِ الْمِيَاهُ مِنَ الدَّوَالِبِ الَّتِي تَسْقِي بَسَاتِينَ الدَّارِ الْعَزِيزَةِ ، وَيُقَابِلُ
هَذِهِ الدَّارَ بُسْتَانٌ فَاحِرٌ ، وَشَجَرٌ مُثْمِرٌ زَاهِرٌ ، وَمَنْظَرٌ عَجِيبٌ بَاهِرٌ ، فَالْجَالِسُ
فِي مَنَاظَرِ هَذِهِ الدَّارِ يُشْرِفُ عَلَى دَجَلَةٍ وَجَسَرِهَا ، فَهِيَ نَزْهَةٌ الْعَيُونِ ،
وَفَرَحَةٌ الْقُلُوبِ الْحَزُونِ ، وَرُتَّبَ لَهَا الْبَوَّابُونَ وَالْفَرَّاشُونَ وَالْمَشَائِيَّةُ ،
وَأَقَرَّتْ عَلَى جَمِيعِ مَا كَانَ يَصِلُ إِلَيْهَا فِي الْأَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِيَّةِ - سَقَى اللَّهُ^(٣) (ظ)

(١) فِي الْأَصْلِ « بِجَوَارِهَا » .

(٢) تَقْدِمُ ذِكْرَهَا فِي « ص ١١٩ » مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ « وَأُنْشِئَ » وَالْمَجْهُولُ أَوَّلَى بِالسِّيَاقِ .

عهودها صوب الرحمة والرضوان - من الراتب والجاري من المخزن المعمور، وجعل في بابها عدل ملازم جميع النهار، مُنفذاً لما تأمر به، ومُثبتاً ما يجري على يد الخدم المختصين بخدمتها .

وحيث قد أثبت ما شرطه من ذكر أخبار جهات الخلفاء سأتبعهم (كذا) بمن ليس له ذكر ممن ينسب إلى الأمراء والوزراء .

دولة جارية الإمام عبد الله بن المعتز بالله

روت عن مولاها . روى عنها أبو بكر^(١) بن العلاف الشيرازي النحوي . أخبرني الحافظ أبو عبد الله البغدادي عن أبي القاسم^(٢) الأزجي

(١) هو هبة الله بن الحسن كما في أنساب السمعاني أو « الحسين » كما في معجم الأدباء « مختصر ج ٧ ص ٢٤٠ » قال السمعاني : « كان إماماً فاضلاً وشاعراً بارعاً . . . سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وذكره في تاريخ نيسابور فقال : العلامة أبو بكر الفارسي المعروف بابن العلاف وكان من أفراد الزمان في عصره في أنواع العلوم . . . » وذكر أن وفاته كانت بشيراز سنة « ٣٧٧ » عن نيف وتسعين سنة ، وله ترجمة في « إنباه الرواة على أنباه النحاة » للقفطي « ج ٣ ص ٣٥٨ » وبغية الوعاة للسيوطي « ص ٤٠٧ » .

(٢) هو يحيى بن أسعد بن بوش الحجاز المحدث ، قال محمد بن سعيد بن الديبشي الواسطي المؤرخ كما جاء في المختصر المحتاج إليه من تاريخه لشمس الدين الذهبي : « يحيى بن أسعد بن يحيى بن بوش أبو القاسم الحجاز الأزجي ، سمع الكثير بإفادة خاله علي بن أسعد الحجاز ، وبورك في عمره ، واحتيج إليه وحدث نحواً من أربعين سنة ولم يكن عنده من العلم شيء . . . توفي في ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة . . . » « نسخة دار الكتب المصرية الورقة ١٢٦ » . ونقل الذهبي في تاريخ الإسلام أكثر أقوال ابن الديبشي وقال في آخر الترجمة : « كان فقيراً قانعاً ، كان يُعطى على التسميع ، ولد سنة عشر وقيل ثمان =

عن أبي الرجاء أحمد بن محمد الكسائي قال : كتب إلي أبو نصر عبد الكريم
ابن محمد الشيرازي قال أنشدني القاضي أبو الفضل زيد بن علي الرازي (١٤٤)
قال أنشدني أبو علي الحسين بن أبي القاسم الفاشاني أنشدنا أبو بكر بن العلاف
قال : أنشدتنا دولة جارية عبد الله بن المعتز . قالت أنشدنا عبد الله
ابن المعتز :

وقفتُ على الفُراتِ وليس تجري سفائنُهُ لنقصانِ الفُراتِ
فلما أنْ ذُكرتْكَ فاضَ دَمْعِي فأجراهُنَّ جَرَى العاصِفَاتِ

حياة خاتون جارية الإمام الظاهر بأمر الله

رضي الله عنه

كانت جارية تركية الجنس ، حَظِيَّة عنده ، مُقَرَّبَةٌ إليه ، أُمٌّ وَلَدٍ له ،
عَتَقَتْ بِمَوْتِهِ ، وصارت حُرَّةً . تُوفِيَتْ يوم الجمعة سادس صفر من سنة
تسع وثلاثين^(١) وستائة وصُلِّيَ عليها في صحن السَّلام ، وأُخْرِجَتْ من باب (٤٤ ظ)
البُشرى^(٢) وحُمِلَتْ إلى تُرْبَةِ^(٣) الإمام المستضيء بأمر الله فدفنت هناك .

= وخمسمائة . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورق ٧٤ » وله ترجمة
في مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٥٥٤ » قال السبط : « وقد سمعتُ منه الحديث
وكان ثقة » ، وله ترجمة في ذيل الروضتين « ص ١٢ ، ١٣ » والشذرات « ٣١٥ : ٤ »
وله ذكر في النجوم الزاهرة « ٦ : ١٤٣ » .

(١) في الأصل « ثلاث » وهو خطأ بدلالة بقائها بعد موته وعَتَاقِها ، وهو
قد توفي سنة « ٦٢٣ » هـ .

(٢) ورد ذكره في الكتاب الذي سميناه « الحوادث الجامعة » استرجاحاً في
« ص ٥٣ ، ٩٢ » والظاهر أنه أحد أبواب دار الخلافة العباسية الشاطئية .

(٣) قال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة « ٥٧٦ » م : مرآة الزمان =

جِهَةٌ تُعْرَفُ بِـ (باب جَوْهَر)

نِسْبَةً إِلَى أَحَدِ خَدَمِهَا^(١)، كَانَتْ جَارِيَةً تَرْكِيَّةً مِنْ حِظَالِهَا الْإِمَامِ
الظَّاهِر بِأَمْرِ اللَّهِ أَيْضًا. لَهَا قَرَبٌ وَاخْتِصَاصٌ. تُوفِيَتْ فِي حَادِي عِشْرِي
الْحَرَمِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتْمِائَةٍ، وَصَلَّى عَلَيْهَا أَسْتَاذُ الدَّارِ الْعَزِيزَةِ
مُؤَيَّدُ الدِّينِ أَبُو طَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلْقَمِيِّ، وَدُفِنَتْ بِالتُّرْبِ الشَّرِيفَةِ
بِالرُّصَافَةِ.

= « وفيها ابتداء الخليفة [الناصر] بعمارة تربة المستضيء المجاورة للجامع فخر الدولة
[بن المطلب] وتولى عمارتها ابن الصاحب أستاذ الدار ونقل تابوته إليها »،
« مختصر ج ٨ ص ٣٦٠ » وقال ياقوت الحموي في « الرصافة » من معجم البلدان :
« وأما المستضيء فعليه تربة مفردة في ظاهر محلة قصر عيسى بالجانب الغربي من
بغداد معروفة ». وقال ابن الدبيشي الواسطي في ترجمة المستضيء : « دفن بدار
الصخر التي كان يعمل بها دعوة الصوفية كل رجب ، في إيوانها ثم نقل تابوته في
ليلة النصف من شعبان سنة ست وسبعين وخمسمائة إلى الجانب الغربي فدفن بتربته
المنسوبة إليه بقصر بني المأمون على دجلة بوصية منه ». « نسخة دار الكتب الوطنية
بباريس ٢١٣٣ الورقة ١٨٢ ». وجاء في حوادث سنة ٦٤٧ من كتاب الحوادث
أنه في تلك السنة انشق حائط تربة الخليفة المستضيء بأمر الله فنقل من مدفنه إلى
موضع في التربة المذكورة ونقل معه سبعة توابع فيها أخته عائشة المعروفة بالفيروزجية
وولده أبو منصور [هاشم] وولدان للظاهر وزوجة الظاهر [حياة خاتون] ثم
نقلوا في هذه السنة إلى التربة بالرصافة ». « ص ٢٤٢ » .

(١) سميت « باب جوهز » على طريق الكناية ، وكان ذلك من مألوف
العباسيين المتأخرين ، كباب عنبر بنت الخليفة المستنصر بالله ، « تلخيص معجم الألقاب
ج ٥ الترجمة ٢٦٩ من باب الميم » ، وباب يشير حظية المستعصم بالله العباسي
« الحوادث ٢٧٥ ، ٣٠٧ » .

قَبِيحَة مَوْلَاة الْعَبَّاسِ^(١) بَنِ الْحَسَنِ

وَزِيرِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ

رَوَتْ عَنْ أَبِي بَكْرِ الْحَسَنِ^(٢) بَنِ عَلِيٍّ بَنِ أَحْمَدَ بَنِ بَشَّارِ بَنِ (٤٥٠)
الْعَلَّافِ الشَّاعِرِ شَيْئاً مِنْ شَعْرِهِ . رَوَى عَنْهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ^(٣) بَنِ
الْمُعَلَّى الْأَزْدِيُّ الْبَصْرِيُّ فِي أَمَالِيهِ . قَرَأْتُ عَلَى الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيِّ
عَنْ ذَاكِرٍ^(٤) بَنِ كَامِلِ الْحَذَّاءِ عَنْ أَبِي نَصْرِ مُحَمَّدٍ بَنِ فَضْلِ

(١) وزير العباس للمكتفي ثم للمقتدر . قتله الحسين بن حمدان « التاريخ
الفخرى ص ١٩٢ » وتجارب السلف بالفارسية لهند وشاه « ص ١٩٧ » . وكان
السبب في قتله أنه واطأ جماعة من الأمراء والكتاب على خلع المقتدر سنة « ٢٩٦ »
ثم نكص عن عزيمته فقتله المتآمرون . كما جاء في الكامل في حوادث هذه السنة .

(٢) ترجمه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد « ٧ : ٣٧٩ » وذكر أنه
توفي في سنة « ٣١٩ » هـ . وقيل إنه توفي سنة « ٣١٧ » وله ترجمة في فوات الوفيات
« ١ : ١٥٠ » والسمعاني في « العلاف » من الأنساب ، وابن الأثير في « العلاف »
من اللباب ، والوفيات « ١ : ١٥٠ » طبعة بلاد العجم ونكت الهميان للصفدي
« ص ١٣٩ » وهو صاحب الأبيات المشهورة في رثاء المبرد التي مطلعها :

ذهب المبرد وانقضت أيامه وليذهبن مع المبرد ثعلب

« معجم الأدباء ٢ : ١٣٩ » وليست هي لثعلب كما ذكر كمال الدين بن

الأنباري في « نزهة الألباء ص ١٥٦ » طبعة علي يوسف بمصر .

(٣) قال ياقوت : « محمد بن المعلى بن عبد الله أبو عبد الله الأسدي الأزدي
(كذا) النحوي اللغوي ، روى عن الفضل بن سهل وأبي كثير الأعرابي وابن
لنكك الشاعر والصولي أبي إسحاق إبراهيم وابن دريد اللغوي إجازة وغيرهم ، وله شرح
ديوان تميم بن مقبل وغير ذلك » . « مختصر ج ٧ ص ١٠٧ » وله ترجمة في بغية
الوعاة « ص ١٠٦ » .

(٤) ذكر ابن الديبشي ذاكراً هذا في تاريخه قال : « ذاكر بن كامل بن
أبي غالب . . . الخفاف أبو القاسم الحذاء أخو أبي بكر المبارك . . . سمع بإفادة
أخيه المذكور ، الكثير من الشيوخ . . . وبورك له فيما سمعه حتى حدث سنين كثيرة ، =

الأصبهاني قال أخبرنا أبو القاسم علي بن حسين الرّبعي أخبرنا أبو الحسن
الماوردي حدثنا أبو عبد الله محمد بن المعلّى إملاءً قال : أنشدتنا
قبيحة مولاة العباس بن الحسن قالت أنشدنا أبو بكر العلاف البغدادي
لنفسه :

قُلْ لِمَنْ يُبْرِمُ الْمَرِيضَ فَلَوْ عُدَّ تَ صَحِيحًا لَعَادَ ذَاكَ مَرِيضًا
لَا تُطِيلُ عِنْدَهُ الْجُلُوسَ فَيَزِدَا دَ طَوِيلًا مِنَ السَّقَامِ عَرِيضًا
قُلْ لَهُ كَيْفَ أَنْتَ وَادْعُ لَهُ اللَّهَ هَ وَعَجَّلْ عَنْ الْعَلِيلِ النَّهْوضَا
فَإِذَا كَانَ مَنْ يَعُودُ مُطِيلًا لَمْ يَكُنْ عَائِدًا وَكَانَ بَغِيضَا (ط ٤٥)

أنبأني محمد^(١) بن عبد الواحد الهاشمي عن محمد بن عبد الله قال
أخبرنا المبارك بن عبد الجبار إذنا قال أخبرني أقضى القضاة أبو الحسن
علي البصري [الماوردي] قراءة عليه حدثنا أبو عبد الله محمد بن المعلّى بن
عبد الله الأزدي إملاءً قال أنشدتنا قبيحة مولاة العباس بن الحسن
قالت أنشدنا أبو بكر بن العلاف لنفسه :

= وكان صالحًا قليل الكلام ، مضى على الصحة والاستقامة . . . توفي ذاكر بن
كامل يوم السبت عشية سادس رجب سنة إحدى وتسعين وخمسمائة عن ست
وثمّنين سنة تقريبًا . . . » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة
٤٩ » وله ترجمة في تاريخ الإسلام للذهبي « نسخة الدار المذكورة ١٥٨٢ الورقة
٦٠ » جاء فيها أنه كان أميًا .

(١) كان من ذرية المتوكل على الله ويعرف بابن شُفْنِين، ولد سنة ٥٤٩
وسمع الحديث من عدة شيوخ وتفرد بالرواية عن بعضهم ، وكان جليل القدر
فاضلاً حسن الطريقة، توفي في بغداد سنة « ٦٤٠ » هـ . « التكملة لوفيات النقلة،
نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية ، ج ٢ الورقة ٢٩٧ » .

كأنك بالمصرع الكائن وجسمك في صورة البائن
 وقد صرت في أمل خادع كذوب إلى أجل حائن
 وقام الذي صنته برهة بحث على نقلة الصائين
 فمن ناقلين إلى غاسل إلى حاملين إلى دافن
 فلما أرتنت بدار البلي حصلت على العمل الراهن (١٤٦)
 وقد كنت تسكن في ظاهر فأصبحت تسكن في باطن
 ستترك بيتاً وثيق البناء إلى بيتك المظلم الواهن
 وداراً يعيش بها الساكنون إلى منزل ميّت الساكن
 فلا يغبنن امرؤ نفسه فويل من الغبن للغابن

سِتُّ النساء بنت طولون التركي

كانت ذات أموال عظيمة ، ونعمة ظاهرة ، وعطاء وافر . قرأت على
 العدل محمد بن محمود بن الحسن الشافعي قلت له : قرأت على أبي عبد الله (١)
 الحنبلي بأصبهان . فأقرّ به ، قال أنبأنا أبو المحاسن الجوهري قال أخبرني

(١) المشهور بهذه الكنية في عصر محب الدين محمد بن النجار الشافعي
 بأصبهان « أبو عبد الله محمد بن مكى بن أبي الرجاء الملقب تقي الدين » ذكره
 الذهبي في تاريخ الإسلام في وفیات سنة ٦١٠ هـ . قال : « محمد بن أبي الرجاء
 أبو عبد الله الأصبهاني الحافظ ، أحد من عني بهذا الشأن ، وطلبه وأكثر منه .
 سمع . . . وروى عنه الزكي البرزالي والضياء المقدسي وجماعة من الرحالين ،
 وأجاز . . . » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ ، الورقة ١٨١ » ،
 وله ترجمة في ذيل طبقات الحنابلة « ١ : ٦٥ » .

[٦٤ ظ] ظفر بس^(١) الداعي العلوي في كتابه عن أبي الحسن محمد بن القاسم
 الفارسي قال سمعت أبا نصر منصور بن عبد الله الأصماني يقول : سمعت
 علي بن عبد الجبار الصوفي يقول : زَوَّجَتْ سِتُّ النساء بنت طولون
 لُعبَةً من لُعبها فأتققت في وليتها مائة ألف دينار ، فلم تلبث الكثير
 من دهرها حتى رأيتها في سوق بغداد تتعرض للسؤال ، فرآها بعض الأغنياء
 فعرفها فقال لها : أين ما كنت فيه من النعيم ؟ قالت : كُنَّا نرصد نواب
 الدهر فجاءتنا وتركنا ديارنا بلاقع . قال : فما تشتهين ؟ قالت : مِلء بطني
 طعاماً . فقال : هذا وكيلي ، انصرفي إلى المنزل . وأمر لها بعشرة آلاف
 درهم . فقالت : يا أخى عليك بمالك ، بارك الله لك فيه ، أما إنه قد كان
 عندنا أكثر من ذلك فلم يبق . وأكلت شيئاً وولت وهي تقول :

دع الدنيا لعاشقها	سَيُصْبِحُ من ذبايحها
أرى الدنيا وإن مدحت	تنصُّ على فضايحها
فلا تفرُّك رائحة	تُصِيبُك من روايحها
فإنَّ سرورها سُمٌّ	وحَتَفُك في منائحها
ومُطربها بِمَعْرِفهِ ^(٢)	يؤوبُ إلى نوايحها

(١) هكذا ورد في نسخة الأصل والذي نعلمه قريباً منه « ظفر بن الداعي
 العلوي » قال منتجب الدين علي بن عبيد الله بن بابويه في تنمة فهرست رجال الشيعة :
 « السيد أبو الفضل ظفر بن الداعي بن مهدي العلوي العمري الأستراباذي ، فقيه
 صالح ، قرأ على الشيخ أبي الفتح الكراجكي » . « بحار الأنوار ٢٥ : ٧ » ونقل
 هذا الكلام ابن الحر العاملي في كتابه « أمل الآمل » .

(٢) في الأصل « بمعرفة » ولا محل للمعرفة فيه وإنما العبرة في صيرورة المطرب
 بمعرفة إلى النوايح .

سَرِيَّة الرَّائِقِيَّة^(١)

ذكر ثابت^(٢) بن سنان بن قرّة أنّها كانت مولدةً سمراء، حسنة الغناء، وكانت لابنة ابن حمدون النديم، فاشتراها منها أبو بكر محمد بن رائق الأمير [٤٧ ظ] بثلاثة عشر ألف درهم، وأخذ منه ابن حمدون ألف دينار، على سبيل الدلالة، ورزق منها أبو بكر ولدًا لم يعيش. وقتل ابن رائق عنها فتزوجها أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان. وتوفيت يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

(١) منسوبة إلى أبي بكر بن رائق الآتي ذكره في ترجمتها، وأخبار محمد بن رائق مستفيضة في التواريخ، وقد قتل سنة ٣٣٠ «الأوراق: أخبار الراضى والمتقى» لأبي بكر الصولى «ص ٢٢٦» وغيرها وتجارب الأمم لمسكويه «٦: ١٩ - ٢٨» والكامل في حوادث سنة ٣٢٩ وسنة ٣٣٠.

(٢) ترجمة القفطى في تاريخ الحكماء «ص ٧٧ من الطبعة المصرية وابن خلكان في ترجمة جده «ثابت بن قرّة بن هارون». «الوفيات ج ١ ص ١٠٧ من طبعة بلاد العجم». قال القفطى: «وعمل ثابت هذا كتاب التاريخ المشهور في الآفاق الذى ما كتب كتاب فى التاريخ أكثر مما كتب وهو من سنة نيف وتسعين ومائتين وإلى حين وفاته فى شهور سنة ثلاث وستين وثلاثمائة (كذا) وعليه ذيل ابن أخته هلال بن المحسن بن إبراهيم . . . مع أنه ذكر أن وفاته كانت سنة (٣٦٥)».

خَاتُون^(١) السَّفَرِيَّة

كانت حَظِيَّة السلطان مَلِكْشاه . وَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدًا وَسِنْجَرَ^(٢) ، وكانت تَتَدَبَّرُ ، وكان لها سَبِيلٌ^(٣) يُخْرِجُ إِلَى طَرِيقِ مَكَّةَ ، وَبَحَثَتْ عَنْ أُمِّهَا وَأَهْلِهَا حَتَّى عَرَفَتْ مَكَانَهُمْ ثُمَّ بَذَلَتْ الْأَمْوَالَ لِمَنْ أَتَاهَا بِهِمْ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهَا وَدَخَلَتْ أُمُّهَا عَلَيْهَا ، وَكَانَتْ فَارَقَتْهَا مِنْذَرِ بَعِينَ سَنَةً ، جَلَسَتْ بَيْنَ جَوَارٍ يُشَبِّهْنَهَا حَتَّى تَنْظُرَ هَلْ تَعْرِفُهَا أَمْ لَا ؟ فَلَمَّا سَمِعَتْ الْأُمَّ كَلَامَهَا نَهَضَتْ إِلَيْهَا فَقَبَّلَتْهَا وَاعْتَنَقَتْهَا ، وَأَسْلَمَتِ الْأُمَّ . وَلَمَّا تُوْفِيَتْ خَاتُونُ قَعْدَ لَهَا السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ فِي الْعَزَاءِ^(٤) . وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ [تَذَكَّرْ]^(٥) فِي نَوَادِرِ التَّارِيخِ لِأَنَّهُمْ قَالُوا : لَا نَعْلَمُ امْرَأَةً وَلَدَتْ خَلِيفَتَيْنِ أُمَّ مَلِكِينَ سِوَى وَلَادَةِ^(٦) بِنْتِ

(١) ترجمها أبو الفرج بن الجوزي في المنتظم « ٩ : ٢٢٨ » ومراة الزمان « مخ ٨ ص ٩٨ » وكانت وفاتها سنة « ٥١٥ » .

(٢) ترجم ابن خلكان « سنجر » في باب السين من الوفيات ومحمدًا في باب الميم ، وترجمة ملكشاه مثبتة في المنتظم « ٩ : ٦٩ » وأخبارهم جميعًا مذكورة في كامل ابن الأثير وكذلك تراجمهم ، وللسلطان محمد ترجمة في مختصر مراة الزمان « ٨ : ٦٩ » .

(٣) السبيل في طريق مكة هو مثل ما ذكر في ترجمة سلجوق « ص ١١٨ » من إخراج الصدقات في الطريق المذكور من الماء والزاد والعتاد والأدوية للمحتاجين والمرضى .

(٤) راجع كيفية القعود للعزاء والوعظ فيه « المنتظم ٩ : ٢٢٢ » .

(٥) زيادة واجبة نقلتها من المنتظم :

(٦) هي ولادة العباسية ، ذكرها أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني « ١ : ٢٣٩ » طبعة دار الكتب المصرية « والطبري في تاريخه « ١ : ١١٧٤ » طبعة ليدن « وابن عبد ربه في العقد « ٢ : ٣٢٧ » طبعة مصر الأولى .

العباس، فإنها ولدت لعبد الملك الوليد وسليمان ووليا الخلافة، والخيزران ولدت للمهدي الهادي والرشيد، ووليا الخلافة، وشاهفرند^(١) ولدت للوليد يزيد وإبراهيم^(٢) ووليا الخلافة. وهذه ولدت لملكشاه محمداً وسنجر ووليا السلطنة.

خاتون^(٣) زوجة السلطان ملكشاه

وهي أم السلطان محمود^(٤)، توفي أبوه وهو صغير، فولّى الملك بعده^(٥) (ط٤٨)

(١) ورد ذكرها بهذه الصورة في النجوم الزاهرة « ١ : ٢٩٩ طبعة دار الكتب المصرية ، وجاء في تاريخ الطبرى في حوادث سنة ١٢٤ هـ . من خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وفي الكامل « شاه آفريد » وفي بعض نسخ مروج الذهب للمسعودي « سارية » وهو تصحيف « ٣ : ١٥٧ طبعة دار الرجاء بالقاهرة » . وهي شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد وآخر ملوك الفرس الساسانيين قيل إن قتيبة بن مسلم الباهلي والى خراسان من قبل الوليد بن عبد الملك غزا ما وراء النهر فظفر بابنتي فيروز فبعث بهما إلى الحجاج بن يوسف الثقفي فبعث الحجاج بإحداهما وهي شاهفرند إلى الوليد المذكور فأولدها يزيد ابنه .

(٢) في مروج الذهب « ٣ : ١٥٣ » أن أم إبراهيم كانت تسمى « بربرة » . (٣) تقدمت الإشارة إليها في ترجمة ابنتها « ماه ملك » « ص ١٠٩ » ، وفي المنتظم لابن الجوزي « ٩ : ٦٢ » أن اسمها « زبيدة خاتون » ثم ترجمها باسم « ترکان خاتون » « ٩ : ٨٤ » وفي الكامل في حوادث سنة ٤٨٥ أن اسمها « ترکان خاتون » وهو المشهور كما جاء في « أخبار الدولة السلجوقية ص ٧٤ ، ٧٥ » لصدر الدين الحسيني ، وأخبارها في المنتظم « ٩ : ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٨٤ » ولها في النجوم الزاهرة خبر « ٥ : ١٦٢ » ، وقد جاء فيه أن « زبيدة » هي والدة « بركيارق ابن ملكشاه » . وكذلك في أخبار الدولة السلجوقية « ص ٧٥ » ، ٧٧ لصدر الدين الحسيني و « ص ٧٦ » من أخبار الدولة السلجوقية للعماد الأصبهاني .

(٤) أخباره مع أخبار والدته ترکان خاتون في المراجع المقدم ذكرها، وفي =

بتدبير أمّه وكان معها عشرة آلاف مملوك تركي؛ دبّرت الملك وقادت الجيوش إلى أن توفيت في شهر رمضان من سنة سبع وثمانين وأربعمائة . ولما ماتت انحلّ أمر ابنها محمود بموتها ، وتعبّ ذلك موته في شوال من السنة المذكورة .

زُبَيْدَةُ^(١) بنت بَرْ كِيَارِق

زوجة السلطان مسعود^(٢) ، كانت جميلة ، موصوفة بالحسن ، توفيت في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة .

(تمّ كتاب جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء مع ما أضيف إليه من مشهورى (كذا) جهات السادة الأمراء ، والجلّة من الوزراء ،

= أخبار الدولة السلجوقية لصدر الدين الحسيني « ص ٧٤ » ، ولعماد الدين الأصبهاني « ص ٧٦ طبعة القاهرة » .

(١) ذكرها العماد الأصبهاني في أخبار الدولة السلجوقية « ص ١٦٠ » وذكر أبو الفرج الجوزي وفاتها بهمدان في سنة « ٥٣٢ » كما ذكر المؤلف . « المنتظم ١٠ : ٧٤ » . وكذلك ابن الأثير في حوادث السنة المذكورة من الكامل . ولا يزال قبرها معروفاً بهمدان في إيران ، وقد أخبرت به عند كوني بهمدان سنة ١٩٥٤ . ولا يصح أن ينسب إليها غير هذا القبر ولا أن ينسب القبر إلى غيرها .

(٢) هو مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي المتوفى سنة « ٥٤٧ » وكان سلطاناً فاتكاً ظالماً سكيراً سنيّ الحكيم ، له ترجمة في وفيات الأعيان « ٢ : ٢١١ » من طبعة بلاد العجم « وهي أصح من الطبقات الأخرى . والمنتظم « ١٠ : ١٥١ » و« مرآة الزمان » مختصر ج ٨ ص ٢١٢ » والكامل في حوادث سنة ٥٤٧ وأخباره كثيرة في كتب التاريخ مثبتة في حوادث سني حكمه وإمارته .

في يوم الثلاثاء رابع شهر رجب الفرد سنة تسعمائة ، وصلى الله على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وحسبنا الله ونعم الوكيل ، على يد مُعلقها لنفسه محمد بن سالم الحناني^(١) « ؟ » .

(١) ذكر شمس الدين الذهبي الأنساب المقاربة لصورة هذه الكلمة الخطية في المشتبه وهي « الجياني والجبائي نسبة إلى جباً من قرى اليمن والجنابي والحياني ، ولم تقف على اسم المعلق في كتاب آخر لنعلم إلى أي هذه الأنساب قد نسب ؟ . ومن الأنساب القريبة له أيضاً « الحنّائي » .

ملحق

(١) مما يلحق بأخبار « مؤنسة المأمونية » الواردة ترجمتها في الصفحة ٧٩ من هذا الكتاب خبرٌ جاء في كتاب نشرته « دائرة المطبوعات والنشر » في الكويت ، سُمي « الذخائر والتحف » وهو مجهول المؤلف ، وقد نُسب إلى القاضي الرشيد ابن الزبير^(١) وكتب تحته (القرن الخامس الهجري) وكل ذلك خطأ على خطأ وهذا نصه :

« وأهدت مؤنسة ، جارية المأمون بالله - إلى مُتِمَّ جارية على بن هشام ، وقد افتصدت ، وكان بينها وبين مُتِمَّ في حياة على بن هشام مكاتبة ومُواصلَة ، لمعرفة كانت بينهما ، قبل مصير كل واحدة منهما إلى صاحبها ، فأهدت إليها بعلم المأمون مَحْنَقَةً واسطُتْها دُرَّة مثل بيضة العصفور ،

(١) ذكر محقق الكتاب الدكتور الفاضل محمد حميد الله في مقدمة الكتاب أنه مع سعيه لم يعثر على ترجمة القاضي الرشيد ، - ص ١٢ - مع أنه مترجم بتفصيل في خريدة القصر للعماد الأصفهاني « ١ : ٢٠٠ - ٢٠٣ » ومعجم الأدباء « ١ : ٤١٦ » وكتاب الروضتين « ١ : ١٤٧ » ووفيات الأعيان « ١ : ٥٣ » ، والنجوم الزاهرة « ٥ : ٣٧٣ » وبغية الوعاة « ص ١٤٦ » وشذرات الذهب « ٤ : ١٩٧ » ، ٢٠٣ » وغيرها . صلب القاضي الرشيد أبو الحسن أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير في سنة ٥٦٢ بالقاهرة . فهو من رجال القرن السادس الهجري لا القرن السادس ونسبة الكتاب المذكور إليه وهو من تأليف القرن الخامس - خطأ مبين يجب إصلاحه ، ولعله من مؤلفات ابن بابشاذ المشهور .

ودخارس^(١) قيمتها عشرة آلاف دينار وأربعة أحجارٍ ياقوت أحمر، وأربعة أحجار زمرد عن يمينها وشمالها بين خرائد ذهب، وباقي المخنقة بَلَح مضْمَخٍ بغالية، فاستطرفت مُتِمِّمُ البَلَحِ المضْمَخِ بالغالية واستطابته، وما أكَثَرَتْ فرحاً بالباقي من الجوهر^(٢) .

(٢) وورد في الكتاب المذكور من أخبار « فضل الشاعرة » المقدم ذكرها في هذا الكتاب « ص ٨٤ » قوله : « وأهدت فضل الشاعرة إلى سعيد بن حميد وكان يهواها ، في يوم فصاده هديةً كان من جملتها ألف جدى وألف حَمَلٍ وألف دجاجة فائقة وألف طبق فاكهة وريحان وشراب وطيب كثير ونخب حسان^(٣) » .

(٣) ومن أخبار « قطر الندى بنت خمارويه » - ص ١٠٤ قوله : وأهدت قطر الندى بنت أبي الجيش خمارويه إلى المعتضد بالله ، في يوم نيروز ، من سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، هدية كان فيها عشرون صينية ذهباً ، في عشر مَشَامٍ عنبراً ، وزنها أربعة وثلاثون رطلاً ، وفي عشر

(١) وردت هذه الكلمة في المطبوع المذكور بصورة « دخارس » ومعها « كذا » لخروجها عن تحقيق محقق الكتاب والصواب « دخارس » جمع الدخرسة وهي الدخريصة وهي بنية القميص كما في القاموس ، وقال محمد بن أبي الخطاب الفرشي « بنائق القميص وهي الدخاريص تضيق من أعلى وتتسع من أسفل » .
جمهرة أشعار العرب ص ١٧٧ .

(٢) الذخائر والتحف أو الهدايا والتحف « ص ١٩ » .

(٣) المرجع المذكور « ص ١٩ » .

منها عشر مشام ند معجون (كذا) وزنها أربعة وثلاثون رطلاً ، وعشرون صينية فضة في عشر منها عشر مشام صندلاً ، وزنها خمسون رطلاً محرماً : وفي العشر الأخرى عشر مشام زعفران (كذا) وزنها خمسون رطلاً ، وعشرون صينية ذهباً مجرى بزجاج ، في عشر منها عشر مشام مسكاً ، وزنها نيف وثلاثون رطلاً ، وخمس خلع وشياً ، قيمتها خمسة آلاف دينار ، وعملت سمجات^(١) ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار ، وأُخرج من القصر ثلاثون وصيفةً يرقصن مع الفراغنة ، وكان مما عُمل للمعتضد قبةً أبنوس ارتقاؤها عشرة أزرع ، وتحتها سرير أبنوس إلى ثلثيها مضطرب بالذهب يُصعد إليه بدرج ، وجُلّ خلالها ثياب رقاق ليرى منها ما مضى عليه^(٢) من الدراهم ، وكان قد أُعْتَدَ^(٣) لذلك دراهم بقيمة ثلاثة عشر ألف دينار ، في كل درهم ثلاثة دراهم ، وكان فيما أُهدت إليه بنت أبي الجيش في هذا اليوم بيت رشيدى وبيت طبرى مذهب ، فاستحسنهما ، ووجه المعتضد إلى أبي الجيش وإخوته بخلع قيمتها ثلاثة وخمسون ألف دينار^(٤) .

(١) جمع الساجدة وهي احتفال وملابس لما يشبه الكرنفال عند الغربيين .

(٢) هكذا ورد في المطبوع ، ولعل الأصل « ما يفض » أى ما يفرق وينثر .

(٣) في المطبوع « اعتد » ولا وجه له .

(٤) الذخائر والتحف أو الهدايا والتحف « ص ٣٨ ، ٣٩ » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أما بعد فإني أجمع على ما بيني وبينكم
أجمعين فإني أجمع على ما بيني وبينكم
من شأن الخلفاء واللعنف واللعنف أجمعين
أشهدكم كما في كتابي اللعن المأثور والآثار والآثار
حمادة بنت عيسى

رؤية الأحكام في عهد عبد الله المشهور
أشهدكم كما في كتابي اللعن المأثور والآثار والآثار
أشهدكم كما في كتابي اللعن المأثور والآثار والآثار

قبر

ام فلت لم اذ كما في ذلك سائر ارج كنت علامة في ذلك
التي اذ كان الموقوف العطاء فطرا للذي في خارونه
الراحم طر لوان سمي سائر دها الاقام المستداه في وقت
التي في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت
وما في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت
في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت
التي في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت
التي في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت
في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت في وقت

رقم الإيداع	١٩٩٣ / ٨٠٦٦
الترقيم الدولي	ISBN 977-02-4213-6

١ / ٩٢ / ١٣٤
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

قرش جنيہ
0/0 -

Dhakhā'ir AL'Arab

28

NISĀ' AL KHULAPHĀ'

Edition Critique

Par

Dr. Mustafa Gawad

Second Edition



DAR AL-MAAREF

۳۵۲۱